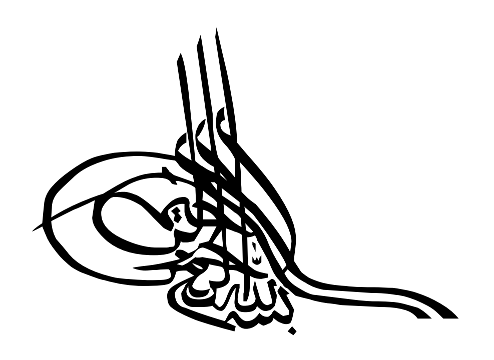
المناسبات العلويّة

أدوار الإمام عليٍّ (ع) في تاريخ الإسلام



مؤسسة الغدير العالمية



المناسبات العلوية

أدوار الإمام علي عليه السلام في تاريخ الإسلام

المناسبات العلوية

أدوار الإمام علي عليه السلام في تاريخ الإسلام

◉ **الكتاب:** المناسبات العلوية (أدوار الإمام علي عليه السلام في تاريخ الإسلام)

◉ **إعداد:** أيوب الحائري - **الناشر:** مؤسسة الغدير العالمية

◉ **الطبعة:** الأولى (١٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ ذكرى يوم الغدير)

محتويات الكتاب

❖ ❖ ❖



بسم الله الرحمن الرحيم

يكفـي لأي إنـسان منـصف أن يُلقـي نظـرة سـريعة علـى حيـاة ومواقف الإمام أمير المؤمنين علي بـن أبـي طالـب عليه السلام ليخـرج بنتيجـة واضحة من أن هذا الرجل العظيم ذو شخـصية فـذة وفريـدة لا يقـاس به أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله باتفاق غالبية علماء المسلمين.

ومـن هـذا المنطلـق وعلـى ضـوء ذلـك الهـدف المقـدس ارتأينـا أن نعرض هذه المجموعة لأهم الحوادث التي تخص الإمـام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو التي كان له عليه السلام فيهـا دور بـارز، بهـدف إعطـاء صـورة عامـة عـن تلـك الشخـصية العظيمـة مـن خـلال عـرض هـذه الحـوادث التاريخيـة في ثـوب جديـد، وقـد أسميناهـا (**المناسـبات العلويـة**)، تطرقنـا فيهـا إلى مواقفـه وأدواره في الإسـلام واحـداً تلـو الآخـر، مـن بدايـة البعثـة النبويـة حيـث كـان أول مـن آمـن بـالنبي

محمد صلى الله عليه وآله ورسالته الخالدة وهو في العقد الأول من عمره، ثم مشاركته مع النبي صلى الله عليه وآله في السنوات الثلاث من الدعوة السرية ومؤازرته له في العلنية منها التي بدأت بالأقربين في قصة يوم الإنذار المشهورة وحضوره عليه السلام معه صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب وسفره إلى الطائف، وتنتهي أدواره عليه السلام في العهد المكي بمنامه عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليسلم صلى الله عليه وآله من الأعداء.

وأما في العهد المدني فلا ريب أن مشاركته الفاعلة في الغزوات والمواطن الخطرة التي قل أن يثبت فيها أحد، تعد الأبرز والأهم فكان يواجه تلك الأخطار التي ارتعدت منها الفرائص وخفقت عندها القلوب فأصبح المثل الأعلى في هذه الساحة التي لولاه لما استقام الدين الحنيف، وقد أسهمت تلك المواقف في ترسيخ أسس الحضارة الإسلامية وبناء هذا الكيان الرسالي الشامخ.

وبانتهاء العهد المدني بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله يأتي عهد الخلفاء حيث عُرف الإمام خلاله بالمسالمة والصبر وفق ما تقتضيه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، حيث يقول عليه السلام: «**لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلا عليَّ**

خاصة»[١]، فرغم أن الإمام عليه السلام كان يرى محله من الخلافة محل القطب من الرحى ولكن سالم وصبر وفي العين قذى وفي الحلق شجى[٢]، على حد تعبيره، مدة ربع قرن، وفي هذه الفترة اجتهد الإمام عليه السلام في جمع القرآن الكريم مشعل هداية الأمة الإسلامية استمراراً لمهام الرسالة في تلك الظروف العصيبة، ولم يقف مكتوف اليد أمام التطورات المتسارعة التي كانت الأمة تشهدها بل ساهم في إدارة شؤونها بكل إخلاص، إلى أن حان الوقت لكي تعود الأمة إلى رشدها وتعرف إمامها فالتجأت إليه تسلم له زمام أمرها بعد تلك الخطوب الصعاب فحمل عبء الخلافة وقيادة الأمة بكل جدارة وحكمة خلال نصف عقد، حارب فيها الناكثين والقاسطين والمارقين وأقام العدل بين الناس وأحيا السنة وأعاد للإسلام عزته وشوكته ورسالته المحمدية الأصيلة.

وهكذا نسير مع تاريخ حياة هذا الإمام العظيم ودوره الرائد في الإسلام حتى ننتهي إلى شهادته يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان من السنة الأربعين للهجرة حيث كان يصلي لربه في محراب

---

(١) بحار الأنوار ٢٩: ٦١٢.

(٢) من خطبته الشقشقية المعروفة في نهج البلاغة.

مسجد الكوفة، فكفاه فضلاً وشرفاً أن يكون وليد الكعبة وشهيد المحراب وما بينهما حياة مملؤة بالمواقف المشرفة من البطولات والتضحيات في سبيل الله ونصرة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يسقي محبيه وأتباعه من حوض رسول الله صلى الله عليه وآله لتشملهم الشفاعة بإذن الله تعالى.

وفي نهاية المطاف نشكر الله حيث وفقنا لعرض هذه المناسبات العلوية بأسلوب جديد وتقديمها إلى القراء الأعزاء وإلى جميع من يريد التعرف على تاريخ حياة ذلك الإمام الهمام وأدواره المهمة في الإسلام.

وختاماً نشكر مكتب الإمام الخامنئي دام ظله في سورية على تعاونه في إعداد ونشر هذا الكتاب سائلين المولى القدير حسن القبول، واستمرار التوفيق، لخدمة شريعة سيد المرسلين ومذهب أهل بيته الطاهرين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مؤسسة الغدير العالمية

أول ذي الحجة عام ١٤٢٧هـ

ذكرى زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام



وليد الكعبة وربيب النبي صلى الله عليه وآله

(١٣ / رجب / السنة ١٠ قبل البعثة)

ولد الإمام علي عليه السلام في اليوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وكانت ولادته في مكة المكرمة في البيت الحرام وسط الكعبة الشريفة، وهي منقبة لم تكن لأحد قبله ولم تتفق لأحد بعده، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، فهو هاشمي الأب والأم وكان أول من ولد من هاشميين[١].

وتطرق السيد الحميري في نظمه إلى هذه المفخرة وهو من شعراء القرن الثاني وهو قوله:

ولدتـه في حـرم الإلـه وأمنـه	والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيـضاء طـاهرة الثيـاب كريمـة	طابت وطاب وليدها والمولـد

---

(١) خصائص أمير المؤمنين للشريف الرضي: ٣٩، والغدير للأميني ٦: ٢٢.

وإليك بيان هذه الواقعة من النصوص التاريخية:

قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزّى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: «رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عليّ ولادتي».

قال يزيد بن قعنب، فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك من أمر الله عز وجل، ثم خرجت بعد الرابع، وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: ... فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف، يا فاطمة سميه علياً..[1]، وأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم، وتقدم من بينهم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله فضمه إلى صدره، وحمله إلى بيت أبي طالب – حيث كان الرسول في تلك الفترة يعيش مع خديجة في دار عمه منذ زواجه – وانقدح في ذهن أبي طالب أن يسمي وليده «علياً» وهكذا سماه، وأقام أبو طالب وليمة على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام[2].

(١) بحار الأنوار ٣٥: ٨.

(٢) بحار الأنوار ٣٥: ١٨.

الإعداد النبوي للإمام علي عليه السلام:

كان النبي صلى الله عليه وآله يتردد كثيراً على دار عمه أبي طالب بالرغم من زواجه من خديجة وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل علياً عليه السلام بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويحمله على صدره، ويحرك مهده عند نومه إلى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية(١).

وكان من نعم الله عز وجل على علي بن أبي طالب عليه السلام وما صنع الله له وأراده به الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس – وكان من أيسر بني هاشم –: «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بيته واحداً، فنكفيهما عنه، قال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عنا الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فضمه إليه وكان عمره يومئذ ستة أعوام، وأخذ العباس جعفراً، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي عليه السلام فآمن به وصدقه،

---

(١) بحار الأنوار ٣٥: ٤٣.

ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[١].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن اختار علياً عليه السلام: «**قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً**»[٢].

وهكذا آن لعلي عليه السلام أن يعيش منذ نعومة أظفاره في كنف محمد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث نشأ وترعرع في ظل أخلاقه السماوية السامية، ونهل من ينابيع مودته وحنانه، ورباه صلى الله عليه وآله وفقاً لما علمه ربه تعالى، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ.

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى أبعاد التربية التي حظي بها من لدن أستاذه ومربيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومداها وعمق أثرها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة:

«**... وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ**

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٨ ط مؤسسة الأعلمي بيروت، وشرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٨، وينابيع المودة: ٢٠٢، وكشف الغمة ١: ١٠٤، وموسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٣٥١- ٣٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٥، نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ..»[1].

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة رقم ١٩٢.



علي عليه السلام أول المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله

(السنة الأولى للبعثة)

إن علي بن أبي طالب عليه السلام والذي تربى في حجر الرسول صلى الله عليه وآله لم يسجد لصنم قط، ولم يُشرك بالله طرفة عين، وعندما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي عليه السلام إلى جانبه، وكان أول من آمن برسالته صلى الله عليه وآله كما شهدت بذلك عامة مصادر التاريخ.

وعن أنس بن مالك قال: أنزلت النبوة على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام يوم الثلاثاء[١]، وقد صرح الإمام عليه السلام بأنه أول من صلى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: «**لم يسبقني إلا رسول الله بالصلاة**»[٢].

كما روي عن سلمان الفارسي أنه قال: أول هذه الأمة وروداً على

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ١/ ٤١، والكامل في التاريخ: ٢/ ٥٨، وتاريخ الطبري: ٢/ ٥٥، وسنن الترمذي: ٥/ ٦٠٠ الحديث ٣٧٣٥.

(٢) نهج البلاغة للفيض: ٣٩٧ الخطبة ١٣١.

نبيها صلى الله عليه وآله الحوض، أولها إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وعن العباس بن عبد المطلب أنه سمع عمر بن الخطاب وهو يقول: كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب إلا بخير، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «في علي ثلاث خصال، وددت أن لي واحدة منهن، كل واحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، وذلك أني كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ضرب النبي على كتف علي بن أبي طالب وقال: **يا علي، أنت أول المسلمين إسلاماً، وأنت أول المؤمنين إيماناً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، كذب من زعم أنه يحبني وهو مبغضك**»[٢].

وإذ اتفق المؤرخون على أن أمير المؤمنين عليه السلام أول الناس إسلاماً[٣]؛ فقد اختلفوا في سنه حين أعلن إسلامه، والخوض في تحديد عمر الإمام عليه السلام حين إسلامه لا يجدي نفعاً بعد أن عرفنا أنه لم يكفر حتى يسلم ولم يشرك

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة٣ : ٢٩، وتاريخ الطبري ٢: ٥٥ وفيه: علي أول من أسلم، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر١: ٣٢ ٣٦، ٦٥ ذكر أن علياً أول من أسلم.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٢٦، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١: ٣٣١.

(٣) من مصادر حديث أن علي بن أبي طالب أول من أسلم: سنن البيهقي ٦: ٢٠٦، ومسند أبي حنيفة: ١٧٣ رقم ٣٦٨، وتاريخ الطبري ٢: ٥٥ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التاريخ ٢: ٥٧، وأسد الغابة ٤: ١٦، تاريخ ابن خلدون ٣: ٧١٥، بدء الوحي والسيرة والنبوية ١: ٢٦٢، والسيرة الحلبية ١: ٤٣٢، ومروج الذهب ٢: ٢٨٣، وعيون الأثر ١: ٩٢، والإصابة في معرفة الصحابة ٢: ٥٠٧، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢: ١٨.

حتى يؤمن، ولقد قال سلام الله عليه: «**ولدت على الفطرة**» ومن هنا اتفقت كلمة المحدثين جميعاً على احترام هذه الفضيلة وتقديسها بقولهم له حين ذكره «علي كرم الله وجهه» فكان الإسلام في أعماق قلبه بعد أن احتضنه حجر الرسالة، وغذته يد النبوة، وهذبه الخلق النبوي العظيم.

قال الأستاذ العقاد وهو يتحدث عن الإمام علي عليه السلام: لقد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قط عبادة الأصنام، فهو قد تربى في البيت انطلقت منه الدعوة الإسلامية، وعرف العبادة من صلاة النبي صلى الله عليه وآله وزوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأمه[١].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[٢] عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وهما أول من صلى وركع[٣].

---

(١) عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: ٤٣، وقد ذكر العلامة الاميني في كتابه الغدير ٣: ٢٢٠- ٢٣٦ ما يربو على ٦٦ حديثاً في أسبقية إسلام الإمام علي عليه السلام.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٨٥.



٣ الإمام علي عليه السلام في يوم الإنذار

(السنة الرابعة للبعثة)

لم يؤمر الرسول صلى الله عليه وآله بإعلان رسالته حتى ثلاث سنوات بعد البعثة، ولم يؤمن به خلال هذه الفترة إلا القليل وكان الإمام علي بن أبي طالب هو أول المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى[1].

ولما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[2]، دعا علي عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله أربعين شخصاً من أقربائه، منهم أبو لهب، والعباس، وحمزة، وأعد طعاماً لا يكفي إلا لشخص واحد، ولكن شبع الجميع بهذا الطعام بإرادة الله، دون أن ينقص منه شيء، وحين أراد النبي صلى الله عليه وآله دعوتهم للإسلام قال أبو لهب (لقد سحركم محمد)

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ١: ٢٤٥، الغدير ٣: ٢٢٠– ٢٤٠، وغيرها من الكتب المعروفة.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

وقد أدى هذا الكلام لتفرق الجميع.

فاضطر النبي صلى الله عليه وآله لدعوتهم في يوم آخر، وبعد تناول الطعام، تكلم الرسول صلى الله عليه وآله فقال يا بني عبد المطلب: إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، قال فأحجم القوم عنها جميعاً إلا علياً عليه السلام، فإنه نهض، مستجيباً لنداء النبي صلى الله عليه وآله، وكرّر النبي صلى الله عليه وآله ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة لم ينهض أحد إلا علي عليه السلام، وبعد ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: «**إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا**»[1]، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ١١٧١- ١١٧٤، كذلك مجمع البيان ٧: ٢٠٦.



٤

الإمام علي عليه السلام في شعب أبي طالب

(السنة ٨ - ٩ - ١٠ للبعثة)

حين أسرع الإسلام ينتشر في مكة وأصبح كياناً يقض مضاجع المشركين وخطراً كبيراً يهدد مصالحهم؛ عمد المشركون إلى أسلوب الغدر والقهر لإسكات صوت الرسالة الإسلامية، فشهروا سيوف البغي ولم يتوان أبو طالب في إحكام الغطاء الأمين للرسول صلى الله عليه وآله، لما له من هيبة ومكانة شريفة في نفوس زعماء قريش الذين لم يجرؤا على النيل من النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك يعني مواجهة علنية مع أبي طالب وبني هاشم جميعاً، وقريش في غنىً عن هذه الخطوة الباهظة التكاليف.

فاتجهوا نحو المستضعفين من المسلمين من العبيد والفقراء فأذاقوهم ألوان التعذيب والقهر والمعاناة ليردوهم عن دينهم وتمسكهم بالنبي صلى الله عليه وآله، ولم تلق قريش غير الصمود والإصرار على الإسلام والالتزام بنهج الرسالة الإسلامية، فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل حل لتخليص المستضعفين من

المسلمين هو الخروج من مكة إلى الحبشة[١].

ولما لم يبق في مكة من المسلمين إلا الوجهاء والشخصيات فقد كانت المواجهة الدموية هي أبعد ما يكون، وعندها سقطت كل الخيارات، ولم يبق أمام قريش إلا أن تلجأ إلى عمل يضعف الرسول ﷺ ويجنبها القتال، فكان قرارهم حصار بني هاشم ومن معهم اجتماعياً واقتصادياً باعتبارهم الحماية التي تقي الرسول من بطش قريش، فبدأت معركتها السلبية مع بني هاشم.

وتجمع المسلمون وبنو هاشم في شعب أبي طالب لتوفير سبل الحماية بصورة أفضل، حيث يمكن إيجاد خطوط دفاعية لمواجهة أي محاولة هجومية قد تقوم بها قريش[٢].

وللمزيد من الاحتياط والحرص على سلامة حياة الرسول ﷺ كان أبو طالب يطلب من ولده علي أن يبيت في مكان الرسول ليلاً حرصاً على سلامته من الاغتيال والمباغتة من قبل الأعداء من خارج الشعب[٣]، وكان علي عليه السلام يُسارع على الامتثال لأوامر والده ويضطجع في فراش النبي ﷺ فادياً نفسه من أجل الرسالة وحاملها.

ولم يكتف علي عليه السلام بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٢١.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٣٥٠، وإعلام الورى ١: ١٢٥.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٨٤.

الشعب إلى مكة سراً ليأتي بالطعام إلى المحاصرين[١]، إذ اضطروا في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشاش الأرض.

لم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال في تلك الفترة العصبية إلا من ملك جناناً ثابتاً وقلباً شجاعاً ووعياً رسالياً وحباً متفانياً للرسول صلى الله عليه وآله، ذلك هو علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي قضى في الشعب جزءً من زهرة شبابه، فكانت تجربة جديدة في حياته عودته على الاستهانة بالمخاطر، وأهلته لتلقي الطوارئ والمهام الجسام، وجعلته أكثر التصاقاً بالنبي صلى الله عليه وآله كما عودته على الصبر والطاعة والتفاني في ذات الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه وآله.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٥٦.



الإمام علي عليه السلام والهجرة إلى الطائف

(السنة ١١ للبعثة)

لقد تراكمت الأحداث على الرسول، واشتدت قريش في تحديه وإيذائه بعد وفاة عمه أبي طالب، ولم يعد في مكة من تهابه قريش وترعى له حرمة، حتى قال النبي صلى الله عليه وآله: «**ما زالت قريش كاعة عني حتى مات أبو طالب**»[١] فكان عليه أن يغير مكانه ويستبدله بمكان أكثر أمناً يستطيع منه الانطلاق لنشر الدعوة الإسلامية إلى أرجاء الجزيرة العربية والعالم أجمع، فأخذ يعرض نفسه على القبائل وابتدأ أولاً بالطائف، وبعد عشرة أيام من مكوثه هناك لم تتجاوب معه ثقيف، بل اغرت به الصبيان والخدم والعبيد ليرشقوه بالحجارة، فوقف علي عليه السلام ومعه زيد بن حارثة يتلقيان الضربات ويمنعان الصبية عن مواصلة الاعتداء حتى أصيبا بجروح في جسدهما، ومع ذلك تعرض رسول الله صلى الله عليه وآله للإصابة وسالت الدماء من ساقيه[٢].

(١) أعيان الشيعة ١: ٢٣٥، وسيرة ابن هشام ٢: ٥٧- ٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٢٧.

٦

مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله

(١/ ربيع الأول/ السنة ١٣ للبعثة)

في الليلة التي عزم فيها النبي صلى الله عليه وآله على الهجرة إلى المدينة، حيث أخبره ربه بمكيدة قريش لقتله، وأمره أن يأمر علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه، فما كان من علي عليه السلام غير أن سأله: أوَ تسلم بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم، فأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله، ونام على فراش النبي صلى الله عليه وآله واشتمل ببرده الحضرمي، فخرج صلى الله عليه وآله[١].

وجعل المشركون يرمون علياً بالحجارة، وهم يحسبونه رسول الله، وعلي عليه السلام يتضور - أي يتلوى ويتقلب - وقد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح، فهجموا عليه، فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف، وأقبلوا عليه، وثب في وجوههم فأجفلوا أمامه، وتبصروه فإذا علي،

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣٤.

فقالوا: وإنك لعلي؟ قال: أنا علي، قالوا: فما فعل صاحبك، فقال: وهل جعلتموني عليه حارساً[١].

وقد ورد: أن الله تعالى أوحى إلى جبرائيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة. فأوحى الله إليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخٍ بخٍ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله به الملائكة، فأنزل الله تعالى الآية[٢] ﴿**وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ...**﴾[٣].

قال الإسكافي: «وقد روى المفسرون كلهم. أن قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ**﴾، نزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش»[٤].

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣٥، ومجمع الفوائد ٩: ١٢٠.

(٢) أسد الغابة ٤: ٢٥، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٩، وكفاية الطالب: ٢٣٩، وشواهد التنزيل ١: ٩٧، وتذكرة الخواص: ٣٥، وتاريخ الخميس ١: ٣٢٥، والمناقب للخوارزمي: ٧٤، وينابيع المودة: ٩٢، والتفسير الكبير ٥: ٢٠٤، والجامع لأحكام القرآن ٣: ٣١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٦٢.

وقد أنكر ابن تيمية نزول هذه الآية في مبيت علي عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله، فقال على ما نقله عنه الحلبي في سيرته.

إنّه قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق عليه السلام له: «**لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**»، فلم يكن فيه فداء النفس، ولا إيثار بالحياة، والآية المذكورة في سورة البقرة، وهي مدنية بالاتفاق، وقد قيل: إنها نزلت في صهيب لما هاجر(١).

وقد رد على قوله الكثير من الأعلام وخلاصته:

أولاً: إن ما ذكره من قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين مبيته: «**لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**»، غير موجود في الرواية، فقد علّق على ذلك الحلبي بقوله: «لكنه في الإمتاع لم يذكر أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي ما ذكر، أي لن يصل..، وعليه فيكون فداؤه للنبي بنفسه واضحاً، نعم ذكر النبي صلى الله عليه وآله ذلك له بعد ما خرج وصاحبه من غار ثور باتجاه المدينة وأمر علياً أن يعود إلى مكة ليؤدي الأمانات إلى أهلها ويأتيه بالفواطم»(٢).

ثانياً: إن سورة البقرة وإن كانت مدنية، ولكن هذه الآية باعتراف الجميع مكية، ومجرد كون هذه الآية مكية لا يخرج سورة البقرة عن كونها

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٢٧.

(٢) سيد المرسلين ١: ٦٠٢- ٦٠٣.

مدنية، لأن الحكم يكون للغالب[١].

ثالثاً: أما نزولها في صهيب فخطأ كبير، لأنّ الحادثة التي يروونها فيه، وفي نزول الآية فيه عارية عن الصحة، للاختلاف الكبير في نقلها ومضمونها، ومن أراد الوقوف على المزيد من تفاصيلها فليراجع (الإصابة) في ترجمة صهيب، و(السيرة الحلبية: ٢/٢٣ – ٢٤).

معطيات الفداء:

ولفداء علي عليه السلام بنفسه معطيات كثيرة ينبغي الالتفات إليها:

أولاً: إن الدين والإسلام يستحق أبلغ التضحيات، وأعظم وأثمن ما عند الإنسان وهي حياته، وأولاده وكل غال ونفيس، ولذا ورد قوله تعالى: ﴿**إِنّ اللهَ اشْتَرَىَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الّجَنّةَ**﴾[٢].

ثانياً: أن موقف الأمير عليه السلام في فدائه النبي صلى الله عليه وآله بحياته ووجوده يعطي تحرره من قيود الدنيا وعبوديتها، فإن المانع الذي يحول دون التضحية بالنفس حب الدنيا والتعلق بها، وقد أعطى عليه السلام بمبادرته للمبيت في فراشه أنه متحرر من كباح الدنيا ومفاتنها.

ثالثاً: أن على المؤمن أن يكون على استعداد دائم للقاء الله تعالى، إذ لعله في أي لحظة يدعى للقائه، فلا بد وأن يكون مستعداً للوفادة عليه.

(١) السيرة الحلبية ٢: ٢٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١.



هجرة الإمام علي عليه السلام إلى المدينة المنورة

(١٥ / ربيع الأول / السنة ١٣ للبعثة)

لما وصل النبي صلى الله عليه وآله في هجرته إلى قرية قباء أقام فيها عدة أيام منتظراً قدوم ابن عمه وأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام بركب الفواطم، وكان قد ألح أبو بكر عليه لكي يدخل المدينة في ليلته إلاّ أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «**ما أنا بداخلها حتى يقدم ابن عمي وأخي وابنتي**»، يعني علياً وفاطمة عليهما السلام[1].

فلما أمسى فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل على بعض الأنصار، وبقي النبي صلى الله عليه وآله في قباء نازلاً على كلثوم ابن الهدم[2]، ينتظر لحوق الإمام علي عليه السلام والفواطم به ليدخلوا المدينة معاً.

وخرج الإمام عليه السلام بالفواطم، وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٤: ٨٨ – ٨٩.

(٢) المصدر السابق.

الله صلى الله عليه وآله وأبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فأمره عليه السلام بالرفق فاعتذر بخوفه من الطلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أربع عليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا علي أما إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه**»(١).

وأدركه الطلب قرب ضجنان، وهم سبع فوارس متلثمون، وثامنهم مولى للحارث بن أمية يدعى جناحاً، فأنزل علي عليه السلام النسوة، وأقبل على القوم منتضياً السيف، فأمروه بالرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لنرجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك.

ودنا الفوارس من المطايا ليثوّروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها فأهوى جناح بسيفه، فراغ علي عليه السلام عن ضربته، وتختله علي عليه السلام فضربه على عاتقه فأسرع السيف مضياً فيه، حتى مس كاثبة فرسه، ثم شد عليهم بسيفه فتصدع القوم عنه، وقالوا: أغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب، قال عليه السلام: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله بيثرب، فمن سره أن أفري لحمه، وأهريق دمه فليتبعني، أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه، فقال لهما: أطلقا مطاياكما.

ثم سار فنزل ضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، فعبدوا الله تلك الليلة قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلى بهم علي عليه السلام صلاة الفجر، ثم سار بهم،

(١) هذه الكلمة قالها النبي له بعد خروجه من غار ثور لا عند مبيته كما توهمه ابن تيمية.

فجعلوا يصنعون ذلك في كل منزل حتى قدم قباء.

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قدوم علي، قال: **ادعوا لي علياً**، قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله، فلما رآه اعتنقه، وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، فقال صلى الله عليه وآله: «**يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ولا يبغضك إلا منافق أو كافر**»[1]، ثم بعد ذلك دخل النبي وعلي ومن معه إلى المدينة.

يقول المقريزي: قدم رسول الله صلى الله عليه وآله قباء في الثاني عشر من ربيع الأول، والتحق به علي عليه السلام في منتصف ذلك الشهر نفسه[2]، ويؤيد هذا القول ما ذكره الطبري في (تاريخه) إذ كتب يقول: أقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده إلى الناس[3].

(١) راجع تفاصيل هذه القصة: أمالي الطوسي ٢: ٨٣ – ٨٦، وبحار الأنوار ١٩: ٦٤ – ٦٧، وتفسير البرهان ١: ٣٣٢ – ٣٣٣، نقلاً عن الشيباني في نهج البيان، وعن الشيخ المفيد في الاختصاص، ورواها ابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٨٣ – ١٨٤، وإعلام الورى: ١٩٠، وإمتاع الإسماع للمقريزي ١: ٤٨، وذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ١٠٦.

(٢) إمتاع الأسماع: ٤٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٣٨٢، نقلاً عن كتاب سيد المرسلين ١: ٦١٩.



المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام

(١٢/ رمضان/ السنة الأولى للهجرة)

في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك، من السنة الأولى للهجرة، آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وآخى بينه وبين الإمام علي عليه السلام.

عن محدوج ابن زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين، ثم قال: **يا علي، أنت أخي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**[1].

دعى الإسلام المسلمين إلى التحابب والأخوّة في مختلف شؤون الحياة،

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٦٦٣ ح١١٣١، وتاريخ دمشق ٤٢: ٥٣ ح٨٣٨٩، والمناقب للخوارزمي ١٤٠ ح١٥٩، والمناقب لابن المغازلي ٤٢: ٦٥ عن أبي زيد الباهلي؛ والأمالي للصدوق ٤٠٢: ٥٢٠، والمناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٦.

في أحد الأيام كان النبي صلى الله عليه وآله ومعه ٧٤٠ شخصاً من المسلمين في منطقة النخيلة، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام وقال: لقد عقد رب العزة تبارك وتعالى عقد الأخوة بين الملائكة فأنت يا رسول الله، اجعل بين أصحابك عقد الأخوة الإيمانية. فكل شخص توجه إلى الشخص الآخر الذي كان يميل إليه ويحبه أكثر، فتآخى أبو بكر مع عمر، عثمان مع عبد الرحمن، وسلمان مع أبي ذر، وطلحة مع الزبير، ومصعب مع أبي أيوب الأنصاري، وحمزة مع زيد بن حارثة، وأبو الدرداء مع بلال، وجعفر الطيار مع معاذ بن جبل، والمقداد مع عمار، وعائشة مع حفصة، وأم سلمة مع صفية، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين علي عليه السلام[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: **آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فقلت: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني فرداً لا أخ لي!! فقال: إنما اخترتك لنفسي؛ أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى. فقمت وأنا أبكي من الجذل[2] والسرور[3].**

(١) بحار الأنوار ٣٨: ٣٣٥.

(٢) جذل – بالكسر – بالشيء يجذل جذلاً فهو جذل وجذلان: فرح (لسان العرب ١١: ١٠٧).

(٣) كنز الفوائد ٢: ١٨٠ عن سليمان بن جعفر الهاشمي، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، المعجم الكبير ١١: ٦٣ ح١١٠٩٢ عن ابن عباس نحوه.



غزوة بدر الكبرى ودور الإمام علي عليه السلام فيها[١]

(١٧ / رمضان / السنة الثانية للهجرة)

في يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية من الهجرة كانت واقعة بدر الكبرى، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أرسل قبلها بعدة سرايا، إلاّ أنه لم يقع فيها قتال، وكان سببها أن النبي صلى الله عليه وآله قد أطلعه الغيب على خروج قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان، فيها أموال كثيرة، قُدّرت بخمسين ألف دينار، فخرج النبي صلى الله عليه وآله ومن معه لأخذها عوض أموالهم التي سلبت في مكة، غير أنّ هذه القافلة سرعان ما أفلتت منهم إلى الشام، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله يترقب رجوعها حتى إذ اعلم به انتدب الناس للخروج إليها وسلبها، فخرج المسلمون يريدون العير، وقد علم أبو سفيان بالأمر فأرسل رجلاً إلى قريش يستنفرهم لنجاة العير[٢]، فوصل بعد ثلاثة أيام وهو

(١) نقلاً عن كتاب أفضل الليالي.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ١١٦.

يناديهم: يا آل غالب... يا آل غالب.. اللطيمة اللطيمة[١].

فلما أخبرهم الخبر تجهّزت قريش لحرب النبي صلى الله عليه وآله وما بقي أحد من عظمائها إلاّ أخرج ماله لتجهيز الجيش، فخرجت قريش بألف فارس ويزيدون، وأخرجوا معهم المغنيات والدفوف والطبول والخمر[٢]، فلما وصل خبرهم إلى النبي صلى الله عليه وآله استشار أصحابه بأمر حربهم، وكان قد قرب بدر، فقام المقداد، فقال يا رسول الله: إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون، ولكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلنّ عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك.

فأشرق وجه النبي صلى الله عليه وآله ودعا له وسرّ لذلك وضحك، ثم أمر أصحابه بالمسير وأخبرهم بأنّ الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، النفير أو العير[٣]، وأن الله لن يخلف وعده، فساروا حتى نزلوا بدراً إلاّ أن المشركين كانوا قد سبقوهم إلى بدر فنزلوا في العُدوة القصوى؛ في جانب الوادي مما يلي مكة،

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ١٤٣- ١٤٤.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين، وقد سلمت، لأنّ أبا سفيان قد سلك بها طريق البحر وابتعد عن المدينة وعن سير المسلمين، وكان محلّ نزولهم صلباً، ونزل المسلمون في العدوة الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لا ماء، وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم، فباتوا إلى الليل، واشتد العطش بالمسلمين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: **مَن منكم يمضي في هذه الليلة إلى البئر فيستسقي لنا؟** فصمتوا ولم يتقدم منهم أحدٌ على ذلك، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام قربةً وانطلق، وكانت ليلة باردة ظلماء، ذات رياح وهواء حتى ورد البئر، فلم يجد دلواً يستسقي به فنزل بنفسه في البئر وملأ القربة، وأخذ في الرجوع، فعصفت عاصفة، فجلس حتى سكنت، ثم قام يسير وإذا بعاصفة ثانية فجلس حتى هدأت، ثم قام يسير، وإذا بعاصفة ثالثة فجلس حتى زالت، ثم قام وسلك طريقه حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن بُطئه فأخبره بالعواصف الثلاث.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: **وهل علمت ما هي تلك العواصف يا عليّ؟** فقال: **لا.** فقال: **العاصفة الأولى جبرائيل عليه السلام ومعه ألفٌ من الملائكة سلم عليك وسلموا، والثانية كانت ميكائيل ومعه ألف ملك سلم عليك وسلموا، والثالثة كانت إسرافيل ومعه ألف ملك سلم عليك وسلموا،**

وكلهم هبطوا مدداً لنا[1].

وإلى هذا المعنى يشير مَن قال: كانت لعلي ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وفي هذا نزلت الآية الكريمة: ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ**﴾[2].

المعركة ونتائجها:

كان أول من برز للقتال عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فنادى عتبة أو شيبة: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فندب إليهم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً قائلاً: «**قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم...**»[3].

فتبارز الثلاثة، وقتل علي الوليد، وجاء فوجد حمزة معتنقاً شيبة بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف، فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل رأسه في صدر شيبة، فاعترضه علي بالسيف فطيّر نصف رأس شيبة، وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة، وفلق عبيدة هامته، فجاء علي فأجهز على عتبة، وعلى هذا فيكون علي عليه السلام قد شرك في قتل الثلاثة.

وكان لعلي عليه السلام الدور الأساس في هذه المعركة، حيث كان نصف

(١) بحار الأنوار ١٩: ٣٠٥ ح ٤٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١١٩.

القتلى تقريباً بسيفه، وقد ذكر الواقدي أسماء تسعة وأربعين رجلاً ممن قتل في بدر من المشركين، ونصّ على أنّ من قتله منهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً[١].

وقال بعضهم: إنّ أهل الغزوات أجمعوا على أنّ جملة من قتل يوم بدر سبعون رجلاً قتل الإمام علي عليه السلام منهم إحدى وعشرين نسمة باتفاق الناقلين، وأربعة شاركه فيهم غيره، وثمانية مختلف فيهم[٢].

(١) مغازي الواقدي ١: ١٥٢، وأنساب الأشراف ١: ٢٩٦.

(٢) نور الأبصار: ٨٦.



زواج الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام

(١/ ذي الحجة / السنة الثانية للهجرة)

كان عمر الإمام علي عليه السلام قد بلغ أربع وعشرين سنة فلا بد له من الزواج وبدء الحياة المشتركة والسيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلا أن الرسول صلى الله عليه وآله امتنع عن ذلك وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله[1]، إلى أن تقدم أمير المؤمنين عليه السلام، لخطبتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: «**يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك**»، فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكتت ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: «**الله**

(١) أنساب الأشراف ٢: ٣٠.

أكبـــر، سـكوتها إقرارهـا»، فخرج إلى علي وموافقة الزهراء بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة[١]، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: **يا علي هل معك ما أزوّجك به؟** فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **فداك أبي وأمي، والله لا يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحتي.** فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: **يا علي، أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، وائتني بثمنه**[٢].

باع الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الدرع[٣] بأربعمئة وثمانين درهماً، وقيل بخمسمئة[٤]، وجاء بالدراهم وطرحها يبن يدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، فكان هذا فقط صداق أشرف وأعظم فتاة عرفتها دنيا الإنسان.

ثم إنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم ردّه بعد ذلك إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قُبيل الزفاف، إعانةً منه لوليمة الزفاف.

---

(١) وقد اشتهر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، قوله: «لولا علي ما كان لفاطمة كفؤ».

(٢) الإصابة للعسقلاني ٤: ٣٦٥.

(٣) كانت تسمى هذه الدرع بـ (الحطيمة) لأنها كانت تحطم السيوف.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ١٤٤.

دفع النبي صلى الله عليه وآله الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة عليها السلام متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أخذ يقلّبها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «**اللهم بارك لقوم جُلُّ آنيتهم الخزف**»[١].

ومن السنن النبوية الوليمة عند الزواج، وقد روي عن ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله دعا بلالاً فقال: **يا بلال، إني قد زوجت ابنتي ابن عمي، وأنا أحب أن يكون من سُنّة أمتي إطعام الطعام عند النكاح، فائت الغنم فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآتني بها.**

فانطلق ففعل ما أمره، ثم أتاه بقصعة، فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله صلى الله عليه وآله في رأسها، ثم قال: **أدخل عليّ الناس زفة زفة، ولا تغادرن زفة إلى غيرها**[٢]. فجعل الناس يردون كلما فرغت زفة وردت أخرى حتى فرغ الناس.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهي:

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٠ حديث ٣٢.

(٢) إذا فرغت زفة لم تعد ثانية.

أولاً: اختيار علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام - وإن كان من قبل السماء بقوله صلى الله عليه وآله: «**إن الله أمرني بأن أزوِّج فاطمة من علي**»[(١)]- لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر ويدلل ذلك بوضوح على أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس الذي يجب أن تبني عليه أركان الأسرة المسلمة وكيانها.

ولعلّ في الكلام الذي روي عن النبي صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة، أما إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي**[(٢)] إشارة إلى لزوم انتخاب الأصلح.

ثانياً: السنن والدروس النبوية التي طبعت في معالم تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش علي وفاطمة عليهما السلام على أحسن حال، فلم يشتك علي من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة، بل كان كل منهما نِعم العون على طاعة الله للآخر، وهناك كثير من النصوص تؤكّد هذه الحقيقة، فقد قال علي عليه السلام في بيان العلاقة بينهما: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر**

---

(١) ذخائر العقبى: ٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٨: ٢٤.

إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان»[١].

وجاء في آخر كلام لها مع علي عليه السلام: «**يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني**»، فقال عليه السلام: «**معاذ الله أنت أعلم وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي**»[٢].

لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنص كتابه العزيز ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٣].

(١) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، وكشف الغمة ١: ٣٦٣، وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٤.

(٢) آمالي الشيخ الطوسي ١: ٣٨٤، وبلاغات النساء: لابن طيفور ٢٠، وروضة الواعظين: ١٥١.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.



معركة أحد (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي)

(٧/ شوال/ السنة الثالثة للهجرة)

كان سبب غزوة أحد: أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا النساء يبكين على قتلاكم فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ويشمت بنا هو وأصحابه(١).

فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف، وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثنهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرجت معهم هند بنت عتبة بن ربيعة، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك جمع

(١) تفسير القمي ١: ١١٠.

أصحابه وأخبرهم: أن الله قد أخبره: أنّ قريشاً قد تجمعت تريد المدينة[١].

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فتهيأ للقتال، وجعل على راية المهاجرين علياً عليه السلام، وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في راية الأنصار[٢].

وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدوي، فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ.

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول	لنا خيول ولكم نصول
فاثبت لننظر أيّنا المقتول	وأيّنا أولى بما تقول
فقد أتاك الأسد الصؤول	بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: **أنا علي بن أبي طالب**. قال طلحة: قد علمت أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك.

فشدّ عليه طلحة فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالترس، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت

(١) تفسير القمي ١: ١١١.

(٢) إعلام الورى ١: ١٧٦.

الراية، فذهب عليعليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: **قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً.**

وأخذ الراية أبو سعيد فقتله عليعليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مسافع فقتله عليعليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض، إلى أن قتل أمير المؤمنينعليه السلام التاسع من بني عبد الدار أرطاة فسقطت الراية إلى الأرض.

هزيمة المسلمين ووقوف الإمام عليه السلام وبعض الصحابة:

وانهزم المسلمون هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه. فلما رأى رسول اللهصلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: «**إني أنا رسول الله فإلى أين تفرّون عن الله ورسوله**».

ولم يبق مع الرسولصلى الله عليه وآله إلاّ أمير المؤمنينعليه السلام وأبو دجانة، وكلما حملت طائفة على الرسولصلى الله عليه وآله استقبلهم أمير المؤمنينعليه السلام فيدفعهم عنه ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه. فلما انقطع سيفه جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي. فدفع إليه الرسول سيفه «**ذا الفقار**» وقال: قاتل بهذا.

فلم يكن يحمل على رسول الله أحد إلاّ يستقبله أمير المؤمنينعليه السلام فإذا رأوه رجعوا، وانحاز الرسولصلى الله عليه وآله إلى ناحية أحد فوقف، فلم يزل عليعليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة.

وسمعوا منادياً ينادي من السماء: «**لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى**

إلاّ علي». ونزل جبرئيل على الرسول وقال: هذه والله المواساة يا محمد.

فقال الرسول صلى الله عليه وآله: **لأني منه وهو مني**. فقال جبرئيل: وأنا منكما.

واستشهد في هذه الغزوة عددٌ من الصحابة منهم مصعب ابن عمير وأيضاً استشهد عم النبي صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في هذه المعركة بيد «وحشي» الذي كان عبداً حبشياً لجبير بن مطعم. وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمداً أوعلياً أو حمزة لأعطينّك رضاك.

يقول وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ الناس هداً، فمرّ بي فوطأ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت مغمّسة بالدم[1].

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٦.



رد الشمس للإمام علي عليه السلام في مسجد الفضيخ

(١٥/ شوال/ السنة الثالثة للهجرة)

وروى الطحاوي والطبراني في (الكبير) والحاكم والبيهقي في (الدلائل) عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وآله دعا لما نام على ركبة علي ففاته صلاة العصر. فردت الشمس حتى صلى علي ثم غربت وهذا أبلغ في المعجزة[١].

وقال ابن حجر الهيثمي في كتابه (الصواعق المحرقة) عند ذكر فضائل علي عليه السلام: ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر فما سري عنه صلى الله عليه وآله إلا وقد غربت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فأردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت**»[٢].

(١) فتح الباري ٦: ٢٢٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٩٧.

ويعتبر ابن كثير أن فعل علي عليه السلام وحده حجة وهذا دأب كل من يحسن الأدب أمام أمثال الإمام علي عليه السلام.

فعلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : **اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس**. فهذا إقرار لعلي عليه السلام على فعله.

ولكن مع ذلك كله فالرواية الأسلم من مصادر الشيعة أن علي عليه السلام صلى من جلوس إيماءاً وردّت الشمس لكي يصلي صلاة تامة من الركوع والسجود، فقد قال الشيخ المفيد في (الإرشاد): ومما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السيرة والآثار ونظمت فيه الشعراء الأشعار: رجوع الشمس له عليه السلام مرتين: في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرة وبعد وفاته مرة أخرى.

وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماء بنت عميس وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة: أن النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم في منزله وعلي عليه السلام بين يديه إذ جاءه جبريل عليه السلام يناجيه عن الله سبحانه فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين عليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتى غابت الشمس فاضطر أمير المؤمنين عليه السلام لذلك أن يصلي صلاة العصر جالساً يومئ بركوعه وسجوده إيماءاً فلما أفاق من غشيته قال لأمير المؤمنين عليه السلام: **أفاتتك صلاة العصر؟** قال له: **لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي**، فقال له: **ادع الله حتى**

يردد عليك الشمس لتصليها قائماً في وقتها كما فاتتك فـإن الله تعـالى يجيبك لطاعتك الله ورسـوله، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام الله في رد الشمس فردت...[١].

ثم ذكر المرة الثانية قائلاً: وكان رجوعها بعد النبي صلى الله عليه وآله أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم فصلى عليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا في ذلك فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه لتجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها فأجابه الله في ردها عليه[٢].

وهذه الحادثة (ردّ الشمس) نظمها السيد الحميري في شعر له، فقال:

ردّت عليه الشمس لما فاته ... وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتى تبلّج نورها في وقتها ... للعصر ثم هوت هوى الكوكب

وعليه قد ردّت ببابل مرة ... أخرى وما ردّت لخلق مغرب

---

(١) الإرشاد ١: ٣٤٥.

(٢) الإرشاد ١: ٢٤٦.



ضربة علي عليه السلام يوم الخندق

(٣/ شوال / السنة الخامسة للهجرة)

إن جماعة من اليهود خرجوا من المدينة حتى قدموا مكة إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله صلى الله عليه وآله وتسرّعه إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم (من وقعة بني النظير) وسألوه المعونة على قتاله، فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوّكم فهذه اليهود تقاتله معكم ولا تنفكّ عنكم حتى يؤتى على جميعها أو تستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي صلى الله عليه وآله، ثم خرج اليهود من مكة إلى غطفان وقيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وضمنوا لهم النصرة والمعونة، وأخبروهم باجتماع قريش لهم على ذلك[١].

وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عُيينة

(١) الإرشاد ١: ٩٥، وإعلام الورى ١ :١٩٠، ومجمع البيان ٨ : ٥٣٣.

بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مُرة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع، واجتمعت قريش معهم[١]، وذكرهم ابن شهر آشوب فقال: فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف[٢].

وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فاستشار أصحابه، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجالدة)، فنحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه. فإنّا كنا - معاشر العجم في بلاد فارس - إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أشار سلمان بصواب[٣].

حفر الخندق

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله بحفر الخندق بنفسه فحفر في موضع المهاجرين، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وعيي، فلمّا نظر الناس إلى رسول الله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب[٤].

وفرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الزغابة، ووادي العقيق، وفي

(١) الإرشاد ١: ٩٥، وإعلام الورى: ١ :١٩.

(٢) المناقب ١ : ١٩٧.

(٣) راجع تفسير القمي ٢: ١٧٧.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٧٧.

عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف[١].

وهم المعنيون بقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً**﴾[٢] يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق ﴿**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ**﴾ وهم عيينة بن حصن في أهل نجد ﴿**وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾[٣] وهم أبو سفيان في قريش، وواجهتهم قريظة[٤].

قال الطبرسي: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الحصون[٥].

برز الإيمان كله إلى الشرك كله

وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيّبون القدوم ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون ويدعون المسلمين: ألا هلمّوا للقتال والمبارزة، وأقاموا على ذلك شهراً لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورمي بالحجارة، فلما طال ذلك ندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق، وكان

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٦– ١٧٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

(٤) التبيان ٨: ٣٢٠.

(٥) مجمع البيان ٨: ٥٣٥.

أشدّ من فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد ودّ الذي طفر بفرسه الخندق إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله، وركز رمحه إلى الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز
إني كذلك، لم أزل متسرّعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من له؟** فلم يجبه أحد، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **أنا له يا رسول الله**. فقال: **يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل**. فقال علي عليه السلام: **وأنا علي بن أبي طالب**.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أُدن مني**، فدنا منه، فعممّه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: **اذهب وقاتل بهذا**. ثم دعا له فقال: **اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته**[٨٦].

وذكر الكراجكي: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال ثلاث مرات: **أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟!** وفي كل مرّة يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسوا رؤوسهم. فاستدعاه وعمّمه بيده، فلما برز قال صلى الله عليه وآله: «**برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه**».

(٨٦) تفسير القمي ٢: ١٨٣.

فمرّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيه، وهو يقول:

لا تعجلنّ، فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة، والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صوتها بعد الهزاهز(٨٧)

فقال له عمرو: من أنت؟ قال عليه السلام: **أنا علي بن أبي طالب**. فقال عمرو: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً وإني أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حيّ ولا ميّت، فقال له علي عليه السلام: **قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنّة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة**، فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذاً قسمة ضيزى.

فقال علي عليه السلام: **دع هذا يا عمرو، وإني سمعت منك وأنت متعلّق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضنّ عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة.**

قال: هات يا علي، قال عليه السلام: **أحدها أن تشهد أن لا إله إلاّ الله**

(٨٧) مجمع البيان ٨: ٥٣٨.

وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله. قال عمرو: نحّ عنّي هذه فاسأل الثانية. فقال: **أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.**

فقال: لا تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها، أني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال علي عليه السلام: **فالثالثة أن تنزل إليّ، فإنك راكب وأنا راجل، حتى أنابذك.** فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها(٨٨)، فنزل عن فرسه، وضرب وجهه حتى نفر، وأقبل على علي عليه السلام مصلتاً سيفه، فتجادلا ساعة، ثم اختلفا بضربتين، فضرب عمرو علياً على أمّ رأسه - وعليه البيضة - فقدّها وأثر السيف في هامته، وضربه علي عليه السلام فوق طوق الدرع فرمى برأسه. وثارت لذلك عجاجة فما انكشف إلاّ وهم يرون علياً عليه السلام يمسح سيفه على ثياب عمرو وقد خرّ صريعاً(٨٩).

وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قُتل علي بن أبي طالب. ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه، فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فردّ عنه حذيفة،

(٨٨) تفسير القمي ٢: ١٨٣.

(٨٩) شرح الأخبار ١: ٢٩٦.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : **مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته**(٩٠).

فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن سبب وقفته؟ فقال عليه السلام: **قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظّ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله**(٩١).

فقال له عمر: فهلاّ سلبت درعه فإنها تساوي ثلاثة آلاف وليس في العرب مثلها؟ فقال عليه السلام: **إني استحيت أن أكشف ابن عمي**(٩٢).

ثم تلقّاه النبي صلى الله عليه وآله فمسح الغبار عن عينيه وقال له: «**لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمد لرجح عملك على عملهم**»(٩٣) وقال صلى الله عليه وآله : «**لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين**»(٩٤).

---

(٩٠) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧.

(٩١) المصدر السابق ٢: ١١٥.

(٩٢) المصدر السابق ٢: ١١٧.

(٩٣) كنز الفوائد ١٣٨. وبحار الأنوار ٢٠: ٢١٥.

(٩٤) الإقبال: ٤٦٧.



فتح حصون خيبر بيد علي بن أبي طالب عليه السلام

(٢٤/ رجب/ السنة السابعة للهجرة)

حين شجّع يهود خيبر جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الإسلامية، والقضاء عليها، واستطاع جيش الأحزاب المشترك بمساعدة يهود خيبر أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة، واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري، واتحاد نظامي من نوعه في ذلك العصر، كانت خيانتهم ولؤمهم يدعو النبي صلى الله عليه وآله أن يقضي على بؤرة المؤامرة، ومركز الفساد والخطر، وأن يجرد سكانها جميعاً من السلاح، كل ذلك لما كان منهم من خيانة العهد، ونقض المعاهدة التي أجراها النبي صلى الله عليه وآله مع جميع اليهود القاطنين حول المدينة[٩٥].

ومن هنا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ من الحكمة، بل ومن الضرورة بمكان

---

(٩٥) تاريخ الطبري ٢: ٤٦.

أن يطفئ شرارة الخطر هذه إلى الأبد، ولهذا فقد أمر صلى الله عليه وآله المسلمين بالتهيّؤ لغزو خيبر آخر مراكز اليهود في الجزيرة العربية، وقال لأصحابه: «**لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد وأما الغنيمة فلا**»، فاستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي[٩٦].

لقد خرج مع النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر ما يقارب من ألف وستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس[٩٧]، وعندما أشرف صلى الله عليه وآله على خيبر قال داعياً ربه: «**اللهم ربّ السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّها، وشرّ أهلها، وشرّ ما فيها**»[٩٨].

وكانت خطة النبي في بداية التحرك قطع النقاط والطرق الحساسة ليلاً عن كل حصون السبعة لليهود، وفعلاً خرج مزارعوا خيبر وعمالهم إلى أراضيهم في الصباح وإذا بهم يفاجؤون بجنود الإسلام حول حصونهم، وقد سدّوا عليهم جميع الطرق، فأفزعهم ذلك، وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا وهم يقولون: محمد والجيش معه. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها.

---

(٩٦) سيد المرسلين، للسبحاني ٢: ٣٨٧- ٣٨٨.

(٩٧) أمالي الشيخ الطوسي: ١٦٤.

(٩٨) السيرة النبوية، لابن هشام ١: ٣٣٥.

ولكن على الرغم من كلّ التكتيك العسكري لليهود والحصانة الكبيرة، والقتال المستميت فقد استطاع المسلمون فتح أكثر الحصون، وكان أول حصن فُتح هو (ناعم) ثم (القموص) الذي كان يرأسه أبناء أبي الحُقيق، وأُسرت فيه (صفية بنت حُيي بن أخطب)، التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله ﷺ، ثم فتح (الكتيبة) وبعده (النطاة)..

واستعصت باقي الحصون كسلالم والوطيح على المسلمين، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر وأعطاه رايته البيضاء على رأس جماعة من المقاتلين، ولكنه سرعان ما رجع، ولم يفتح واحداً منها، وكان كل من أبي بكر والجيش يلقي اللوم على الآخر، فبعث النبي في اليوم الآخر عمر بن الخطاب، فسرعان ما عاد كصاحبه[٩٩]، فأغضب النبي ﷺ ذلك، فجمع الناس وقال لهم: «**لأعطينّ الراية غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسولهُ، يفتح الله على يديه، كرّار غير فرّار**»[١٠٠].

أنا الذي سمتني أميّ حيدر

بات الأصحاب وكل واحد منهم يتمنى أن يكون صاحب هذا الوسام الخالد، وفي الصباح نادى النبي ﷺ: أين علي؟ فقيل: يا رسول الله به رمد، وهو راقد بناحية، فقال ﷺ: **إئتوني بعلي**، فأمرّ - رسول الله ﷺ يده الشريفة على عيني علي عليه السلام ودعا له بخير فعوفي من ساعته، ثم دفع

(٩٩) راجع تاريخ الطبري ٢: ٣٠٠، والسيرة الحلبية ٢: ٣٥.

(١٠٠) عبارة مشهورة جداً بين المؤرخين، راجع كتب التاريخ.

اللواء إلى علي، وقال له: **اذهب ولا تلتفت**. فوقف علي عليه السلام ومن دون أن يلتفت، قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: **وعلى ماذا أقاتلهم**، قال صلى الله عليه وآله: **على الإسلام أو الجزية**(١٠١).

لّما وصل علي إلى الحصون كان قد ارتدى درعاً قوياً، وحمل ذا الفقار، وأخذ يهرول بشجاعة منقطعة النظير والجند خلفه، حتى ركز راية النبي البيضاء على الأرض تحت الحصن، فلما رأى اليهود دنوه نحو الحصن أخذ يخرج كبار صناديدهم، وكان أول من خرج إليه أخو مرحب ويدعى الحارث، فتقدم إلى علي وصوته يدوي في ساحة القتال، بحيث تأخر من كان خلف علي من الجند فزعاً وخوفاً(١٠٢)، ولكن سرعان ما جندله أمير المؤمنين بسيفه ورمى به جثة هامدة على الأرض، فغضب مرحب (بطل خيبر المعروف) لقتل أخيه، فخرج من الحصن وهو غارق في السلاح، قد لبس درعاً يمانياً، -وقيل داودياً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، وتقدم نحو علي كالفحل الصؤول يرتجز، ويقول:

قد عَلِمَت خيبرُ أني مرحبُ ... شاكي السِّلاح بطلٌ مجربُ
إن غلب الدهرُ فإني أغلبُ ... والقرنُ عندي بالدّما مخضّبُ

فأجابه علي عليه السلام مرتجزاً:

(١٠١) السيرة الحلبية ٢: ٣٧.

(١٠٢) المصدر السابق.

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة ضرغامُ أجام وليثٌ قسورة
عَبل الذراعين غَليظُ القيصرة كليث غاباتٍ كريهُ المنظرة

فأخذا يتبادلان الضربات بالسيوف، وقعقعتها تثير الرعب والفزع في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الإسلام القاطع على المفرق من رأس مرحب قدّت خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقته نصفين إلى أسنانه.

لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث أفزعت أكثر من خرج مع مرحب من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم، ولجأووا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا علياً منازلة حتى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسه من يده، وجاءته السهام تترى فقلع باباً على الحصن وأخذ يتترس به عن نفسه، فلم يزل ذلك الباب في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه، ثم ألقاه من يديه حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الإسلام، ومنهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب، أو يحركوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك(١٠٣).

يقول اليعقوبي في (تاريخه): إنّ الباب الذي قلعه علي عليه السلام كان من

(١٠٣) تاريخ الطبري ٢: ٩٤، عن سيرة ابن هشام ٢: ٣٤٩، وعنه تاريخ الخميس ٢: ٤٧-٥٠.

الصخر، وكان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعين[١٠٤]، وكان هذا الباب يفتحه (٢٢) رجلاً، ويغلقه مثلهم، وفي هذا يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج:

يا قالع الباب الذي عن هزّه   عجزت أكف أربعون وأربع

وقد نقل المؤرّخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر، وخصوصياته، ومواصفاته، وعن بطولات علي عليه السلام في هذا الفتح، وجميعها لا تتمشى ولا تتيسر مع القدرة البشرية العادية، وفي هذا الصدد يقول علي عليه السلام: «**ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة راضية**»[١٠٥].

وعاد علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله منتصراً ظافراً، وفي هذه الأثناء وصل جعفر بمن معه من المهاجرين من الحبشة، فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله وقال: «**ما أدري بأيّهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**».

فسلام الله على الإمام علي عليه السلام وأخيه جعفر لما قدّماه للنبي صلى الله عليه وآله ولرسالته الخالدة.

(١٠٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٦.

(١٠٥) بحار الأنوار ٢١: ٤٠.



غزوة ذات السلاسل ودور الإمام علي عليه السلام فيها

(السنة الثامنة للهجرة)

وتسمَّى أيضاً وقعة وادي الرمل، وكان سببها أنَّ عدداً من الأعراب قد اجتمعوا لغزو المدينة – في وادي الرمل – على حين غفلة من أهلها ، فوفد أعرابي على نبيِّ الله وأخبره بالأمر ، وخرج أمير المؤمنين ومعه لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن خرج الأخرون من الصحابة، ورجعو عنهم خائبين[١٠٦] ، ثُمَّ أرسل عمرو بن العاص[١٠٧] ، فعاد كما عاد أصحابه، فمضى عليه السلام نحو القوم، يكمن النهار ويسير الليل ، حتى وافى القوم بسحر ، وصلَّى بأصحابه صلاة الغداة ، وصفَّهم صفوفاً واتَّكأ على سيفه وانقضَّ بمن معه على القوم على حين غفلة منهم، وقال: «**يا هؤلاء، أنا**

(١٠٦) إعلام الورى ١ : ٣٨٢.

(١٠٧) انظر: الكامل في التاريخ ٢: ١١٠.

رسولُ رسولِ الله، أن تقولوا: لا إله الا الله محمَّد رسول الله، والا ضربتكم بالسيف».

فقالوا له: ارجع كما رجع صاحباك، قال: «**أنا أرجع؟! لا والله حتَّى تسلموا، أو لأضربنَّكم بسيفي هذا، أنا عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطَّلب**»[(١٠٨)]، فاضطرب القوم، وأمعنوا بهم قتلاً وأسراً، حتَّى استسلموا له، وتمَّ الفتح على يده.

وعن أمُّ سلمة قالت: كان نبيُّ الله صلى الله عليه وآله قائلاً في بيتي؛ إذ انتبه فزعاً من منامه، فقلت: الله جارك، قال: «**صدقت، الله جاري، ولكن هذا جبرئيل يخبرني أنَّ عليَّاً قادم**». ثمَّ خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا عليَّاً، وقام المسلمون صفَّين مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمَّا بصر به عليٌّ عليه السلام ترجَّل عن فرسه، وأقبل عليه يقبِّله. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «**إركب، فإنَّ الله ورسوله عنك راضيان**» فبكى عليٌّ عليه السلام فرحاً وانصرف إلى منزله.

---

(١٠٨) الإرشاد، للشيخ المفيد ١: ١١٣ ـ ١١٦، إعلام الورى ١: ٣٨٢.



أدوار الإمام علي عليه السلام في فتح مكة المكرمة[(١٠٩)]

(٢٠/ رمضان / السنة الثامنة للهجرة)

في العشرين من شهر رمضان المبارك للسنة الثامنة من الهجرة فتح الله تعالى لرسوله مكة، وكان فتحاً مبيناً ومؤزراً على طواغيت قريش وشركهم، ويمكننا القول بأن فتح مكة كان مرحلة متطورة جداً من الصراع بين الحق والباطل، إذ بدخول مكة تحت حكم الله الواحد، بدأت المدن الأخرى والقرى تدخل في الإسلام، من دون سفك دماء، أما إذا كان ولابد فقليلة جداً، وقد أشار القرآن إلى آثار ونتائج هذا الفتح العظيم بقوله تعالى: ﴿**وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً**﴾[(١١٠)]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**﴾[(١١١)].

---

(١٠٩) نقلاً عن كتاب أفضل الليالي.

(١١٠) سورة النصر: الآية ٢.

(١١١) سورة الفتح: الآية ١.

وقد كان للإمام علي عليه السلام الدور البارز في تحقيق هذا الفتح والنصر المؤزر، ليس دور الإمام علي عليه السلام بارزاً في فتح مكة فحسب ولا أن دوره تجسّد في ذلك دون سواه، بل في كل الحروب التي خاضها مع النبي صلى الله عليه وآله كان له الدور الأكبر في صناعة النصر، بل في بعضها كان له تمام الدور في صناعته، كما ذكرنا ذلك في بدر والخندق وخيبر وحنين...، ولكننا نقول ذلك في فتح مكة لمكان المناسبة فحسب.

وفيما يلي نستعرض جملة من هذه الأدوار، وهناك غيرها تركناها لغاية الاختصار.

الدور الأول: أخذ الراية من سعد:

كان هدف النبي صلى الله عليه وآله من تجميع المسلمين؛ والخروج بكلهم إلى مكة، كما أنّ الحذر من وصول الخبر إلى قريش، أن يباغتهم فلا يكون أمامهم أيّ وسيلة للدفاع عن أنفسهم سوى الدخول في الإسلام أو الفرار من الجبهة.

وكان هذا الهدف هو ما ينشده النبي في مجمل تحركاته نحو مكة حذراً من أن تسفك الدماء في حرم الله الآمن، وفعلاً لما علم أبو سفيان بخروجهم كانوا قد وصلوا إلى مقربة من مكة فخرج إلى النبي صلى الله عليه وآله ليساومه ولكن دون جدوى، فالنبي صلى الله عليه وآله قد عزم على فتحها، فلم يجد بداً من أن يحمي نفسه باعتناقه الإسلام، فلما وصل النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه أبواب مكة أخذت الحمية سعد بن عبادة الأنصاري، وهو يمرّ أمام أبي سفيان، فقال: اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى أو تستحل الحرمة.

فأخذ الكثير من المسلمين يردّد ما قاله سعد، وكان هذا الشعار من شأنه

تهييج المشركين للقتال حتى لو أدّى ذلك إلى قتلهم، إذ العرب لا تتحمل دخول دارها فضلاً عن ذلها بذلك، كما من شأنه تشجيع المسلمين للنيل من المشركين خصوصاً مسلمي مكة الذين ذاقوا ألوان العذاب والبلاء على أيدي قريش، وكل ذلك يتنافى مع هدف النبي من عدم سفك الدماء في حرم الله الآمن، فوصل شعار سعد إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال لأمير المؤمنين: **يا علي أدرك سعدا وخذ الراية منه وأدخل أنت بها مكة**، فأدركه أمير المؤمنين، فأخذ الراية منه ودخل بها مكة، ولم يمتنع عليه سعد، بل دفعها إليه.

ولم ير رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوى الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الشيخ المفيد[١١٢]: واعلم أنه لو رام ذلك غير علي عليه السلام، لامتنع عليه سعد، وكان في امتناعه فساد التدبير، واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين.

وهذا الدور لعلي عليه السلام لا يحتاج إلى تعليق، لأنه من الواضح جداً أن أخذ الراية من سعد لا يتم إلاّ برسول الله صلى الله عليه وآله حيث لا يتنازل سعد وهو زعيم الأنصار إلاّ للنبي صلى الله عليه وآله، ولما كان سعد يعرف أن علياً هو الرجل الثاني في الإسلام، وأنه سيصبح الرجل الأول سلّم الراية إليه بلا تنازع، فأخذ الإمام علي عليه السلام الراية ونادى بأمر من النبي صلى الله عليه وآله: «**اليوم يوم المرحمة، اليوم تحمى الحرمة**».

---

(١١٢) في الإرشاد ١: ٩٠.

الدور الثاني: تحطيم الأصنام

بعدما لوت مكة جيدها، وأذعنت لراية النبوة، وتحوّلت إلى سلطة الرسول صلى الله عليه وآله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً حيث خرجت الرجال من مخابئها، وأسلمت وخرجت النساء من خدورهنّ وأسلمن، وانضوى الناس في ظل الرسالة الإسلامية، وعادت مكة إلى ذورتها الأولى يوم خلق الله السماوات والأرض، وعاد البلد الحرام حيث يحرم فيها سفك الدماء، وأصبحت واحة الأمان والراحة والاطمئنان، دخل النبي صلى الله عليه وآله فاتحاً لا كما يدخل الفاتحون عنوةً بل كما يدخل الرسل المتواضعون ذاكراً ربّه، ناظراً إلى قربوس فرسه، لم يدخل مستعلياً ولا مستكبراً وإنّما دخل ذاكراً شاكراً مسبحاً مستغفراً.

وبما أن مكة المكرمة كانت مجمع عبادة العرب، ومركز التجمع الصنمي أيضاً، وكان الغرض الأساس من الحرب الفكرية والنفسية والمادية إزالة الدولة الصنمية، وتأسيس دولة الإله الواحد الحقّ مكانها، كان لابد من تركيز الألوهية في أذهان الناس، وتحطيم المظاهر الصنمية وقلعها من الأذهان، وتحطيم كل المظاهر الصنمية الموجودة في الكعبة وفي جوارها.

قال الإمام الرضا عليه السلام: **وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة عندما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة فمر بها وجعل يطعنها بمخصرة في يده، ويقول: جاء الحقّ وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، فجعلت تكب**

لوجهها[١١٣]. وفي رواية ابن شهر آشوب: إن الإمام علياً عليه السلام صعد على أكتاف النبي وكسر الأصنام الموجودة على ظهر الكعبة[١١٤].

كان هدف الإسلام محو الصنمية من الوجود الخارجي، بل الوجود الذهني أيضاً، والعقيدة الصنمية حالة مستعصية، مركوزة في الذهن والوجدان، وبعضهم رضع عقيدة الصنمية وعبادة الصنم مع الحليب فأنّى له أن يترك هذه العبادة، ولو كانت خرافة ما فوقها خرافة؟ والذي عشق الخرافة ورضع الخرافة، لا يراها خرافةً، وإنّما يراها صحيحة، وهذا هو الجهل بعد الجهل. ومشكلة الرسالة كانت مع هذا النوع من الجهل، ومع التعقيد النفسي والذهني. فهل كان بإمكان الرسول صلى الله عليه وآله غرس العقيدة الإلهية دون إزالة العقيدة الصنمية من الأذهان؟ وهل يمكن محوها من الذهن قبل محوها من الواقع؟ ومن الذي يساعده على هذه المهمة الصعبة إلاّ رجل الصعاب، رجل المواقف، إلاّ عليّ الذي صعد على كتف النبيّ، وحمل فأس النبوة بيده القوية وزنده المتين، حتى كسّرها تكسيراً؟ وبذلك تم الانتصار الحقيقي للإسلام بإزالة كل آثار الصنمية ومحوها من الوجود.

هذه أدوار علي عليه السلام في فتح مكة وإرساء الإسلام فيها وما حولها، وهكذا فقد أوقف حياته عليه السلام في أعظم خدمة للإسلام وللنبي، واستمر من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يعقب المجرمين، ويقطع أدبار المرتدين.

---

(١١٣) بحار الأنوار ٣٩: ٦٧ ح ٢٠.

(١١٤) المصدر السابق ٣٩: ٦١ ح ١٥.



١٧
الإمام علي عليه السلام في أرض طي
(السنة التاسعة للهجرة)

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف من قبل، أن في قبيلة طي صنماً كبيراً يُقدس إلى الآن ومن هنا بعث صلى الله عليه وآله بطل جيشه الشجاع علي بن أبي طالب عليه السلام على رأس مائة وخمسين فارس إلى أرض طي، وأمره بأن يحطم صنم طي، ويهدم بيته.

وقد أدرك قائد هذه السرية أن القبيلة المذكورة ستقاوم جنود الإسلام، وأن الأمر لن يتم من دون قتال، ولهذا حمل بأفراده على موضع ذلك الصنم، عند الفجر والناس نيام، فاستطاع أن يأسر جماعة من تلك القبيلة ممن قاوم ومن جملة الأسراء سفانة بنت حاتم الطائي، وأن يعود بهم وبالغنائم إلى المدينة وقد فرّ «عدي بن حاتم الطائي» الذي انضم فيما بعد إلى صفوف المسلمين، المجاهدين في سبيل الله، وكان يرأس تلك القبيلة، حين سمع بتوجه علي عليه السلام نحوها.



غزوة تبوك واستخلاف الإمام علي عليه السلام على المدينة

(٢٩ / رجب/ السنة التاسعة للهجرة)

لقد كان لانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وفتوحات المسلمين المشرقة في الحجاز صداه في خارج الحجاز، وكان ذلك يُرعب الأعداء، ويدفعهم إلى التفكير في حيلة.

وهذا ما دفع إمبراطور الروم إلى أن يحشد جموعاً كبيرة، ويتهيأ بكل ما أوتي من قوة لمهاجمة المسلمين وغزوهم بغتة، ليحدّ من انتشار الإسلام، ومن قوته التي أخذت تتعاظم، ومن انتشار نفوذه السياسي، الذي بات يزلزل سلطانه.

فحشد ما يقارب أربعين ألف فارس وراجل، وكان مجهّزاً بأحدث الأسلحة والتجهيزات، وقد استقرّ على الشريط الحدودي لأرض الشام[1]،

الشام[١]، في منطقة (تبوك).

ولما حملت الأنباء هذا الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوهم، فجهّز جيشه وعسكر في (ثنية الوداع)، وكان يتألف من عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف راجل، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها[٢].

المتخلفون عن القتال:

تخلّف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة، فمنهم الجدّ بن قيس - وكان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة - حيث قال صلى الله عليه وآله له: **يا أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟**

فقال: يا رسول الله أو تأذن لي، ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما أحدٌ أشدُّ عجباً بالنساء مني، وإني لأخشى أن رأيتُ بنات بني الأصفر (الروم) لا أصبرُ عليهنَّ. فأعرضَ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن سمع منه ذلك العذر الصبياني، وقد نزل فيه قول الله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[٣]، كما تخلّف عن النبي ثلاثة حتى يفرغوا من القطاف والحصاد، ثم يلتحقوا به،

(١) حيث كانت تحت سيطرة إمبراطورية الروم.

(٢) السيرة لابن هشام ٢: ٥١٥-٥١٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٩.

فوبّخهم القرآن.

وتخلّف أيضاً جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان.

استخلاف الإمام علي عليه السلام في المدينة:

لم يغزو النبي صلى الله عليه وآله غزواً إلاّ كان علي عليه السلام معه وحامل لوائه، غير أن النبي صلى الله عليه وآله في هذه المرة منع علياً من الخروج من المدينة معه، لأنه صلى الله عليه وآله كان يدرك جيداً أن المنافقين والمتربصين والمتحينين الفرص من رجال قريش سيستغلون فرصة غيبة النبي القائد عن المدينة فيثيرون فيها فتنة، ويجهزون على الحكومة الإسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، وأن هذه الفرصة إنما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلى الله عليه وآله مكاناً نائياً، وانقطع ارتباطه بالمدينة، ولقد كانت تبوك أبعد نقطة يخرج إليها النبي صلى الله عليه وآله من جميع غزواته، فخوفاً من أن يقلبوا الأوضاع في غيابه ترك فيها علياً، على الرغم من أنه استخلف على المدينة (محمد بن مَسْلَمة)، حيث قال لعلي: «**أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، يا علي إن المدنية لا تصلح إلاّ بي وبك**»[1].

ولقد استاء المنافقون من إبقاء علي عليه السلام في المدينة، وحاولوا بثّ الدعايات والشائعات الخبيثة بغية تحريض علي عليه السلام على الخروج من المدينة

(١) بحار الأنوار ٢١: ٢٠٧، والسيرة النبوية لابن هشام ٢: ٥٢٠.

والالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: ما خلّف رسول الله علياً إلا استثقالاً له وتخفيفاً منه، أو أنه دعاه إلى الخروج لتبوك، ولكن علياً امتنع من الخروج بحجة الحر الشديد، وبُعد الطريق، وإيثاراً للدعة والراحة والرفاهية، أو أنه خلفه مع النساء والأطفال.

ولإبطال مثل هذه الشائعات توجّه علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: **يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استثقلتني، أو تخففت مني، أو خلفتني مع النساء والأطفال**. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** - أو قال له: **لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي**[1].

النبي صلى الله عليه وآله في طريقه إلى تبوك:

حلّ جيش الإسلام في أرض تبوك في غرة شعبان في السنة التاسعة للهجرة، ولكن لم يرَ أثراً لجيش الروم، وكأن جيش الروم لما علموا بكثرة جنود الإسلام، وكانوا قد سمعوا عن شجاعتهم وتضحياتهم الفريدة، رأوا أنه من صالحهم الانسحاب، وعدم دخول حرب قد تكسر شوكتهم وكبريائهم وعظمتهم[2].

---

(١) مسند أحمد ١: ٣٠٦٢/٧٠٩، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١١٩ ح٨٤٢٩، وغيرهما كثير.

(٢) المغازي للواقدي ٣: ١٠١٩.

وهنا كان النبي صلى الله عليه وآله أمام خيارين، فإما أن يقفل راجعاً إلى المدينة، وكأنّ شيئاً لم يقع، وإمّا أن يهاجم الروم عبر الدخول في أراضي الشام، فاستشار النبي صلى الله عليه وآله أصحابه، فقالوا: إن كنت أُمرت بالسير فسر، فقال صلى الله عليه وآله: لو أمرتُ به ما استشرتكم فيه. فأشاروا عليه بالرجوع إلى المدينة، فقبل النبي اقتراحهم وأقفل راجعاً بجيشه(١).

وكان هذا السفر بمثابة التمهيد لفتح الشام، فقد تعرّف قادة هذا الجيش طرق هذه المنطقة ومشاكلها، وتعلموا كيفية تجييش الجيوش الكبرى في وجه القوى العظمى، ولعله لذلك، كانت الشام أول منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ١٤٢.



الإمام علي عليه السلام يبلغ سورة براءة في الحج

(٣/ ذي الحجة / السنة التاسعة للهجرة)

في هذا اليوم من السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام إلى مكة بالآيات الأولى من سورة براءة ليقرأها على كفار مكة، فركب أمير المؤمنين عليه السلام ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء ولحق بأبي بكر وأخذها منه، وعاد أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله مستفسراً عن الأمر قائلاً له: أنزل فيّ قرآن؟

فقال صلى الله عليه وآله: **لا ولكن الأمين هبط إليّ عن الله (جل جلاله) بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ولا يؤدي عني إلا علي**[1].

والحادثة تشير بوضوح إلى فضل أمير المؤمنين عليه السلام عند الله عز وجل وعند رسوله صلى الله عليه وآله وقد ورد في بعض النصوص كما في (مسند أحمد بن حنبل): أن علياً عليه السلام قال: **يا رسول الله صلى الله عليه وآله لست خطيباً**، فقال

(١) الإرشاد (بتصرف) ١: ٦٥.

النبي صلى الله عليه وآله : **لا محيص عن ذلك، فإما أن أذهب بها أو تذهب بها، فقال علي عليه السلام: إذا كان ولا بد فأنا أذهب بها**، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : **انطلق بها فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك**(١)، كما أنه تشير إلى الأمور التالية:

أولاً: الأهمية الخاصة لهذه الآيات الشريفة وما تتضمنه من إمهال الكفار والمشركين فترة أربعة أشهر، تبدأ من العاشر من ذي الحجة وتنتهي باليوم العاشر من شهر ربيع الأول للسنة العاشرة.

ثانياً: إن الأمر الإلهي بالبراءة من المشركين أعلن من خلال آيات من سورة براءة (التوبة) إعلاناً عاماً أمام الناس كافة: ﴿**وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾(٢).

فقد تصرف الوحي والرسول صلى الله عليه وآله مع المشركين كما تصرف مع اليهود الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم من جانب واحد، وذلك بالتآمر سراً مع أعداء الإسلام.

بيان وتوضيح: إن البراءة في الآية المذكورة أعلاها لا تختصّ بمشركي الجزيرة بل إنها تشمل البراءة من مشركي العالم كله، الموجودين في عصر الرسالة ومن بعدهم إلى يوم القيامة، وهذه الآية تعلن عن أوضح موقف سياسي تجاه المشركين وأعداء الإسلام.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٣١ ط/ مصر.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣.



الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في اليمن

(شهر رمضان السنة العاشرة للهجرة)

أرسل النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام إلى اليمن مرتين الأولى في السنة الثامنة للهجرة، والثانية في شهر رمضان في السنة العاشرة للهجرة وإليك بيان الواقعتين باختصار.

استمراراً في نشر الإسلام أرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن خالد بن الوليد وجمعاً من الصحابة ليدعوا قبيلة همدان إلى الإسلام، وظل خالد نحواً من ستة أشهر دون أن يحقق نجاحاً، فلم يتمكن من إقناع همدان في اعتناق الإسلام، فبعث إلى النبي يخبره بعدم إجابة القوم له وانصرافهم عنه، عند ذاك بعث النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وطلب منه أن يُعيد خالداً إلى المدينة ويحل محله في مهمته، ويبقي معه من يشاء من المجموعة المرسلة مع خالد.

روي عن البراء بن عازب الذي كان مع خالد وبقي في سرية

علي عليه السلام: كنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً عليه السلام وأمره أن يقفل خالداً ويكون مكانه، فلما دنونا من القوم؛ خرجوا إلينا وصلى بنا علي عليه السلام ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله بإسلامهم، فأسلمت همدان جميعاً وأرسل علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالخبر السار، فخر رسول الله ساجداً ثم رفع راسه وقال: السلام على همدان[1].

وروي: أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل علياً في **مهمة ثانية إلى اليمن** ليدعو مذحج إلى الإسلام، وكان معه ثلاثمائة فارس، وعقد رسول الله له اللواء وعممه بيده، وأوصاه أن لا يقاتلهم إلا إذا قاتلوه، فلما دخل إلى بلاد مذحج؛ دعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، فأعد علي عليه السلام أصحابه للقتال، وهجم عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فتركهم، ثم دعاهم إلى الإسلام ثانية فأجابوه لذلك، وبايعه عدد من رؤسائهم، وقالوا: له نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

وروي: أن علياً عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فقلت: رسول الله، تبعثني إلى قوم وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، فوضع يده

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٣٠٠، والسيرة النبوية لابن كثير ٤: ٢٠١.

على صدري وقال: اللهم ثبت لسانه واهدِ قلبه، ثم قال: إذا جاءك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتى تسمع الآخر، فإنك إذا فعلت ذلك؛ تبين لك القضاء، قال علي عليه السلام: والله ما شككت في قضاءٍ بين اثنين[١].

ثم إن علياً جمع الغنائم فأخرج منها الخمس وقسم الباقي على أصحابه، وبلغه خبر خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة لأداء فريضة الحج، فتعجل عليه السلام السير ليلتحق بالنبي صلى الله عليه وآله في مكة، وروي أن بعض من كان في سرية علي عليه السلام اشتكى من شدته في إعطاء الحق، فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله ذلك قال: أيها الناس، لا تشتكوا علياً فو الله إنه لأخشن في ذات الله من أن يشتكى منه[٢].

وعن عمرو بن شاس الأسلمي أنه قال: كنت مع علي عليه السلام في خيله التي بعثه بها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن، فوجدت في نفسي عليه[٣]، فلما قدمت المدينة شكوته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد، فلما رآني أنظر على عينيه نظر غليّ حتى جلست إليه، فقال: إيه يا عمرو، لقد آذيتني، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام من أن أؤذي رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: «**من**

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٢٠٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٦٠٣، والسيرة النبوية لابن كثير ٤: ٢٠٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٤.

آذى علياً فقد آذاني»[1]، وبعد ما أتمَّ الإمام عليه السلام المهمة في اليمن التحق بالنبي صلى الله عليه وآله في مكة لأداء مناسك الحج وهي حجة الوداع التي نصب النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي خليفة من بعد إتمام المناسك وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في غدير خم وسيأتي تفصيل ذلك.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٢٠٢.



يوم الغدير[١] (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)

(١٨/ذي الحجة/السنة العاشرة للهجرة)

أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى الحجّ في سنة عشرٍ من الهجرة، وأذّن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتّمون به في حجّته تلك التي يطلق عليها **حجّة الوداع، وحجّة الإسلام، وحجّة البلاغ، وحجّة الكمال، وحجّة التمام**[٢]، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى أن توفّاه الله سبحانه.

فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً نحو المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات، وصل إلى غدير خُم من الجحفة التي تتشعّب فيها طرق

(١) اقتباساً وتلخيصاً من كتاب (الغدير) للشيخ أيوب الحائري من إصدار المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام والذي صدر أيضاً باسم ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة.

(٢) الغدير، للأميني ١: ٩، إنّ الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول الآية ٦٧ من سورة المائدة، كما أنّ الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول الآية الثالثة من سورة المائدة.

المدنيّين والمصريّين والعراقيّين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة، نزل إليه جبرائيل الأمين عليه السلام عن الله بقوله: ﴿**يا أيّها الرَّسُولُ بَلغ ما أُنزل إليك من ربّك**﴾...[١]، وأمره أن يقيم علياً عَلَماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سَمُرات[٢] خمس متقاربات دَوْحات عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ ما تحتهنّ، حتى إذا نودي بالصلاة - صلاة الظهر - عمد إليهنّ، فصلى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدّة الرمضاء. وظُلّل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف صلى الله عليه وآله من صلاته، قام خطيباً وسط القوم[٣] على أقتاب الإبل[٤]، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال صلى الله عليه وآله:

«**الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضلّ، ولا مُضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.**

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سَمُرات، جمع سمرة: شجرة الطلح.

(٣) الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٦. وتاريخ آل زرارة لابن غالب الزراري ٢: ٨٤.

(٤) ثمار القلوب ٥١١-٦٣٦ رقم ١٠٦٨، المستدرك للحاكم ٣: ٥٣٣.

أما بعد: أيّها الناس قد نبّأني اللطيف الخبير: أنه لم يُعمّر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله. وإنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: «**ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأن جنّته حق وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث مَن في القبور؟**».

قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «**اللهم اشهد**»، ثم قال: «**أيها الناس ألا تسمعون؟**» قالوا: نعم.

قال: «**فإنّي فرط[1] على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصرى[2]، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين**»[3].

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: «**الثقَل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزّ وجل وطرفٌ**

(١) الفـَرَط: المتقدم قومه الى الماء، راجع غريب الحديث، لابن سالم ١: ٤٥.

(٢) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبُصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

(٣) الثقل: كل شيء خطير نفيس. راجع تاج العروس للزبيدي ٧: ٢٤٥.

بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا».

ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فرفعها حتى رُؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: «**أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه**»، يقولها ثلاث مرات – وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرات – ثم قال: «**اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب**».

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾[1].

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة،**

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

ورضا الربّ برسالتي، والولاية لعليّ من بعدي».

ثم طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وممّن هنّأه في مُقدّمة الصحابة الشيخان: أبو بكر وعمر كلّ يقول: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. قال ابن عباس: وجبت – واللهِ – في أعناق القوم.

فقال حسان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تسمعهنّ، فقال: «**قل على بركة الله**».

فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادةٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله في الولاية ماضية، ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخمّ وأسمع بالرسول مناديا
وقال: فمن مولاكم ووليّكم؟ ... فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدنّ منا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه ... وكن للذي عادى علياً معاديا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**»، هذا مجمل القول في واقعة الغدير.

الاستشهاد بالواقعة:

وقد استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الواقعة العظيمة أمام الناس كافة في زمن خلافته عدة مرات - كما ذكر ذلك المؤرخون - منها ما روي عن زيد بن أرقم قال: نشد علي الناس في المسجد فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**» فقام اثنا عشر بدرياً، ستة من الجانب الأيمن، وستة من الجانب الأيسر، فشهدوا بذلك.

قال زيد بن أرقم: «وكنت أنا فيمن سمع ذلك فكتمته، فذهب الله ببصري»، وكان يتندم على ما فاته من الشهادة ويستغفر[1].

ومن ذلك أيضاً ما روي عن طلحة بن عميرة قال: نشد علي عليه السلام الناس في قول النبي صلى الله عليه وآله: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» فشهد اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وأنس بن مالك في القوم لم يشهد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **يا أنس**، قال: لبيك، قال: «**ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا**»؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببياض - أو بوضَحٍ - لا تواريه العمامة**» قال طلحة بن عميرة: فأشهد بالله لقد رأيتها بيضاء بين

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤: ٧٤.

عينيه[١].

عيد الغدير في التاريخ الإسلامي

لقد تعلّقت المشيئة الربّانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون والعصور كتاريخ حيّ يجتذب القلوب والأفئدة، ويكتب عنه الكتّاب الإسلاميون في كلّ عصر وزمان، ويتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة، في مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ والشعراء في قصائدهم، ويعتبرونها من فضائل الإمام علي عليه السلام الذي لا يتطرّق إليها أي شك أو ريب.

إنّ من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى ودوام هذا الحدث العظيم هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها[٢]، فما دام القرآن الكريم باقياً مستمراً يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، فسوف تبقى هذه الحادثة حيّة في العقول والقلوب.

إنّ أبناء المجتمع الإسلامي في العصور السالفة، لاسيّما أتباع أهل البيت عليهم السلام، كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً من الأعياد الإسلامية الكبرى.

وقد عدّه أبو ريحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية) ممّا استعمله أهل

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٤ – ٢١٧/١٩، والمعارف لابن قتيبة: ٣٢٠، وحديث من كنت مولاه ومناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يطلب من كتاب الغدير الجزء الأول.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣ و٦٧.

الإسلام من الأعياد[١].

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال: من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ كتب الله له صيام ستين شهراً (أو سنة)، وهو يوم غدير خم؛ لّما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فقال: «**مَن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره**»، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة[٢].

والثعالبي أيضاً قد اعتبر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين[٣].

إنّ عهد هذا العيد الإسلامي وجذوره ترجع إلى نفس يوم الغدير؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله أمر المهاجرين والأنصار بل أمر زوجاته ونساءه في ذلك اليوم بالدخول على علي عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أول من صافق النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والأنصار، ثم باقي الناس[٤].

---

(١) ترجمة الآثار الباقية: ٣٩٥، الغدير ١: ٢٦٧.

(٢) راجع تاريخ دمشق: ٧٥/٢ و٥٧٥ ـ ٥٧٧. وتاريخ بغداد ٨: ٢٩٠.

(٣) ثمار القلوب: ٥١١.

(٤) راجع الغدير ١: ٢٧٠. رواه عن أحمد بن محمد الطبري الشهير بالخليلي.

ويكفي أهميّة هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مائة وعشرة من الصحابة[١].

حديث الغدير لا يقبل التأويل

زعم البعض أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يقصد من عمله ومما قاله في يوم الغدير أن ينصّب علياً عليه السلام وليّاً، بمعنى كونه قائداً للمسلمين وخليفة له من بعده، وإنما أراد أن يبيّن فضله ومنزلته، فإنّ كلمة الولي تستعمل أيضاً بمعنى الناصر والصديق والحبيب، ولا ضرورة لحملها على الأولوية بالتصرّف لتكون بمعنى القائد والحاكم والمتولي لأمور المسلمين.

ولكن ملاحظة ظروف هذا الحدث التاريخي التي صنعها الرسول صلى الله عليه وآله لا تدع مجالاً لهذا التأويل، وتجعله زعماً بلا دليل؛ فإنّ منع الألوف المؤلفة عن المسير وحبسهم في رمضاء الهجير، والاهتمام بإرجاع من تقدّم منهم وإلحاق من تأخّر عنهم، وأمرهم بأن يبلّغ الشاهد منهم الغائب عنهم، ونعي نفسه المباركة إليهم، وأخذ الإقرار منهم بالتوحيد والرسالة والمعاد، وأنّه الأولى بهم من أنفسهم، إنّما ينسجم كلّ هذا مع قصده صلى الله عليه وآله لبيان أمر مهمّ جداً، فإنّ كلّ إنسان يفهم أنّه صلى الله عليه وآله من هذا الاستعداد والإعداد إنّما كان يقصد أمراً مهمّاً في غاية الأهمية، ويرتبط به مصير الأمّة أيّما ارتباط.

هذا فضلاً عن تهديد الله سبحانه له بأنّه إن لم يبلغ هذا الأمر المهم

---

(١) الغدير ١: ٦١ و٣١٤.

فكأنّه لم يبلغ رسالته التي جاهد لها ليل نهار طيلة ثلاثة وعشرين عاماً..

ويا ترى ما هو هذا الأمر المهم الذي وعده الله بأنّه يعصمه من الناس حين يبلغه؟

فهل هناك خطر في تبليغ المفاهيم التي لا ترتبط بأمر القيادة الخطير حتى يحتاج الرسول صلى الله عليه وآله إلى من يعصمه من الناس؟

ومن هم الناس الذين يحتاج الرسول صلى الله عليه وآله إلى أن يعصمه الله تعالى منهم لو بلّغ ما أمر به؟

وهكذا نعرف أنّ أيّ تأويل لهذا الحديث الصريح في معناه سخيف جداً، وإنّما يستهدف قائله الفرار من الحجّة البالغة التي أكّدها الرسول صلى الله عليه وآله بصريح كلامه في مجال تعيين القيادة النائبة عنه على الأمّة المسلمة من بعده، وإنّه لم يترك أمر الخلافة الخطير ولم يُهمل بيان حكم هذا الموقع السياسي الجليل في مثل تلك الفرصة التاريخية التي كانت أمامه يوم الغدير.

والذي يثبت زيف وبطلان هذا التأويل هو فهم الصحابة الكبار لهذا النص - من أمثال أبي بكر وعمر وحسان بن ثابت وغيرهم ممّن حضروا هذه الواقعة التاريخية بأنفسهم - وسمعوا من النبي صلى الله عليه وآله ذلك ووعوه وفهموا منه أنه كان يعني القيادة للأُمة والتصرف في أمورهم لا غير، وقد تَعزّز فهمهم هذا بمواقف فعلية من قبلهم حسب هذا الفهم.

بيان وتحليل للواقعة

الإسلام دينٌ عالمي، وشريعة خاتمة تتضمن كل ما تحتاجه البشرية في

الحياة. وقد كانت قيادة الأُمّة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ما دام حيّاً، ولا يمكن للشريعة الخالدة أن تهمل أمر القيادة العليا للأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وتوكل هذا الأمر إلى الصُّدف والأهواء والرغبات أو إلى الاجتهادات الشخصية للصحابة الذين تختلف آراؤهم واجتهاداتهم واتجاهاتهم حيث ينتهي الأمر حينئذ بلا ريب إلى الاختلاف والتشتت وانهيار الدولة الإسلامية بشكل عام.

فلا يمكن للرسول الخاتم لمسيرة المرسلين جميعاً وللشريعة الإسلامية الخالدة أن يهملا هذا الأمر الخطير.

ومن هنا كان التنصيص من سيد المرسلين صلى الله عليه وآله على من يتحمّل مسؤولية القيادة من بعده أمراً طبيعياً ولازماً ومتوقعاً للمسلمين جميعاً.

فمن هذا الذي نصّ الرسول صلى الله عليه وآله على أنّه القائد للأمّة الإسلامية من بعده؟ ومتى نص الرسول صلى الله عليه وآله على ذلك؟ وكيف تم هذا التنصيص منه؟

إن أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يعتقدون بأن القيادة العليا للأمة الإسلامية وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله منصب ربّاني ينصّ عليه الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى ولم يتركه الله ورسوله إلى الانتخاب الشعبي والرأي العام ما دام الرسول القائد وخليفته يحكمان الشعب باسم الله تعالى وباسم دينه القويم..

وقد اختار الله ورسوله أفضل أفراد الأمّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ونصّ على إمامته وقيادته للأمّة من بعده، منذ بدايات الدعوة الإسلامية وظلّ يواصل طرحها ويمهّد لها ولطرحها العام خلال العهدين المكّي والمدني بدءً بيوم

الإنذار والى يوم رجوعه من حجة الوداع بل وبشكل خاص في الثامن عشر من ذي الحجة السنة ١٠ للهجرة بعد إنذار إلهي صريح وفيما بعد ذلك وحتى في يوم ارتحاله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله.

بينما يرى الخط الذي استلم الحكم بعد الرسول صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله أن الخلافة لم تكن منصباً ربّانياً ولا حاجة للتنصيص فيها، بل يمكن لأن تقرر من قبل المسلمين حتى عدد قليل منهم لتكون الخلافة لهذا الشخص أو ذاك.

إن الأوضاع السياسية داخل الدولة الإسلامية وخارجها قبيل وفاة النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله كانت تتطلّب أن يعيّن النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله بأمر من الله تعالى خليفة له من بعده؛ إذ المنافقون وأهل الكتاب في داخل أراضي الدولة الإسلامية من جهة، والدولة البيزنطية وسائر القوى المشركة خارج الدولة الإسلامية من جهة أخرى كانوا يشكّلون عدة مراكز للخطر الداهم ضد المسلمين.

إنّ هذا الوضع الاجتماعي والسياسي يفيد: أنّه كان ينبغي للرسول الأعظم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآله أن يمنع من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق في المجتمع من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية، وذلك بإيجاد حصن قوي متين حول تلك الأمّة، من خلال تعيين قائد كفوء لها ليمنعها من التشتت والفرقة واختلاف الكلمة وتنازع الأهواء.

فإنّ تحصين الأُمّة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، وعدم السماح لأصحاب الأهواء ليطالب كل فريق بالزعامة لنفسه، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة والحكم وقيادة الأمة سياسياً لم يكن ليتحقق إلاّ بتعيين قائد كفوء للأمّة من قبل مكوّن الأُمة وربّانها وقائدها الأوّل، وعدم

ترك الأمور للصُّدَف والأهواء.

إن هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «ضرورة التنصيص على القائد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله» وتحقّقها وعمل الرسول صلى الله عليه وآله بها.

ومن هنا نعرف السرّ في طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، يوم لم يكن قد انضوى تحت راية رسالته سوى عدد قليل جداً ممّن أعلن إسلامه وآمن برسالة ربّه. كما نعرف السرّ في مواصلة طرحها من قبله صلى الله عليه وآله والتذكير بها طوال حياته وحتى الساعات الأخيرة منها.

وقد كان أبرزها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة السنة (١٠) للهجرة، الذي عرف فيما بعد **بيوم الغدير**، أو يوم **غدير خُم**.



تصدق الإمام علي عليه السلام بالخاتم للفقير

(٢٤/ذي الحجة/السنة العاشرة للهجرة)

جاء في تفسير (مجمع البيان)، وتفاسير وكتب أخرى، نقلاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في حوار جرى بينهما في المسجد الحرام أمام الناس أنه قال: أيها الناس من لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بأذنيّ هاتين وإلا صُمّتا، ورأيت بعينيّ هاتين وإلا كفتا، أنه قال: «علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله».

وأضاف أبو ذر رحمه الله أنه كان في أحد الأيام يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله فدخل سائل إلى المسجد وطلب إعانة من الناس، لكن لم يقدم له أحد شيئاً، فرفع هذا السائل يده إلى السماء وقال: «اللهم اشهد بأني طلبت العون في مسجد رسولك ولم يرد عليّ أحد بشيء»، وكان علي عليه السلام يصلي في ذلك الوقت وهو في حالة الركوع، فأشار بخنصره الأيمن، فتقرب السائل فانتزع خاتماً

كان في تلك الخنصر، وقد شاهد النبي صلى الله عليه وآله ذلك وهو في حالة الصلاة وما أن فرغ صلى الله عليه وآله من صلاته حتى رفع رأسه إلى السماء وناجى ربه قائلاً، بما مضمونه: «**اللهم إن أخي موسى سألك أن تشرح له صدره وتيسر له أمره وتحلل عقدة من لسانه ليفقه الناس قوله وسألك أن تجعل هارون أخاه وزيراً له ليشد أزره ويشاركه في أمره، اللهم وإني نبيك الذي اصطفيته، فاشرح لي صدري ويسر لي أمري، واجعل لي من أهلي علياً عليه السلام وزيراً لتشدّ به أزري...**».

قال أبو ذر: «وما كاد النبي صلى الله عليه وآله ينهي دعاءه حتى نزل عليه جبريل وقال له: اقرأ.. فسأل النبي صلى الله عليه وآله: **ماذا أقرأ؟** قال: اقرأ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1]».

لقد نقل هذه الواقعة الكثير من الرواة، وقد صرح البعض بقصة التصدق بالخاتم واكتفى آخرون بتأييد نزول الآية في حق أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل هذه الروايات ثلة من كبار الصحابة كابن عباس، وعمار بن ياسر، وعبد الله ابن سلام، وسلمة بن كهيل، وأنس بن مالك، وعتبة بن حكيم، وعبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن غالب، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي ذر الغفاري.

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

والقضية بدرجة من الوضوح بحيث أن حسان بن ثابت جاء بمضمون آية الولاية في قالب شعري من نظمه قاله في حق أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً زكاة فدتك النفس يا خير راكع

فأنزل فيك الله خير ولاية وبيّنها في محكمات الشرائع

ولمزيد الإطلاع على هذه المسائل يمكنك مراجعة (التفسير الأمثل) الجزء الرابع في تفسير سورة المائدة الآية ٥٥.



الإمام علي عليه السلام في يوم المباهلة

(٢٥/ذي الحجة/السنة العاشرة للهجرة)

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه صلى الله عليه وآله فيهم، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي عليه وآله السلام: «**عبد الله اصطفاه وانتجبه**» فقال الأسقف: أتعرف له – يا محمد – أباً ولده؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لم يكن عن نكاح فيكون له والد**»، قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: ﴿**إِنّ مَثَلَ عِيسَىَ عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقّ**

مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِّن الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فتلاها النبي صلى الله عليه وآله على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة، وقال صلى الله عليه وآله: «**إن الله عز اسمه أخبرني أن العذاب ينزل على المبطل عقيب المباهلة، ويبين الحق من الباطل بذلك**» فاجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، فاتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء.

فلما كان من الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله آخذاً بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عبرت عنه الآية بنفس النبي صلى الله عليه وآله والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفهم، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم.

فلما رأى الاسقف النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل بمن معه، سأل عنهم، فقيل له: هذا ابن عمه علي بن أبي طالب وهو نفسه وصهره وأبو ولده وأحب الخلق إليه، وهذان الطفلان ابنا بنته من علي وهما من أحب الخلق إليه وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس إليه وأقربهم إلى قلبه.

ونظر الأسقف إلى العاقب والسيد وعبد المسيح وقال لهم: انظروا إليه قد جاء بخاصته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقه، والله ما جاء بهم وهو

يتخوف الحجة عليه، فاحذروا مباهلته، والله لولا مكان قيصر لأسلمت له، ولكن صالحوه على ما يتفق بينكم وبينه. وارجعوا إلى بلادكم وارتؤوا لأنفسكم، فقالوا له: رأينا لرأيك تبع، فقال الأسقف: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكنا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به.

فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي صلى الله عليه وآله كتاباً بما صالحهم عليه.

وفي هذا اليوم (٢٥ من ذي الحجة) كان نزول سورة (هل أتى)[1] في شأن أهل البيت عليهم السلام حيث صاموا ثلاثة أيام، نذراً لله لشفاء الحسنين عليهما السلام وأعطوا فطورهم مسكيناً ويتيماً وأسيراً وأفطروا على الماء وقد مدحهم القرآن ووضعهم في قمة الإيثار والتقوى وعرضهم نماذج وقدوة للبشرية ليقتدي بهم الأجيال وتسير على نهجهم.

---

(١) وتسمى سورة الدهر وسورة الإنسان.



الإمام علي عليه السلام عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله

(٢٨/ صفر/ السنة الحادي عشر للهجرة)

بعد انتهاء موسم الحج سنة العاشرة من الهجرة الذي عرف واشتهر بحجة الوداع رجع النبي صلى الله عليه وآله من مكة المكرمة إلى المدينة فقضى فيها بقية أيامه وكانت شهران وتزيد قليلاً، وفي هذه الفترة عبأ جيش أسامة وضم إليه وجوه الصحابة وأبقى علياً عليه السلام معه إلا أن الكثير منهم استنكفوا فشدد عليهم الأمر بالرحيل معه فخرجوا حياءً ثم عادوا محتجين بخشيتهم عليه وذلك لمرضه صلى الله عليه وآله، وحين اجتمعوا عنده قال لهم بعد أن وبخهم على عدم إنفاذ جيش أسامة قال لهم: «**أيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده**»[1] فأبوا عليه وقال بعضهم (أن النبي يهجر!!)، وقد أجمع الفريقان على نقل هذا الحديث.

---

(١) بحار الأنوار ١٦: ١٣٤.

وكان علي عليه السلام حينذاك لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وآله إلا لضرورة أو للقيام ببعض شئون رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي آخر ساعاته صلى الله عليه وآله أفاق فلم يجد علياً عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**ادعوا لي أخي وصاحبي**»[1] فقالت أم سلمة: «ادعوا له علياً إنه لا يريد غيره، فلما دنا علي منه أومأ إليه فأكب عليه فناجاه رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً، فقيل لعلي عليه السلام ما الذي أوعز إليك يا أبا الحسن فقال عليه السلام: «**علمني ألف باب من العلم يفتح لي كل باب ألف باب وأوصاني بما أنا قائم به إن شاء الله**»[2].

ثم فتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وقال لعلي عليه السلام: «**يا علي ضع رأسي في حجرك فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك واسمح بها وجهك**».

ثم فاضت روح رسول الله صلى الله عليه وآله ورأسه على صدر علي عليه السلام، يقول علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري، ولقد وليت غسله والملائكة أعواني**»، فإنا لله وإنا إليه راجعون[3].

استثمرت قريش ومعهم الأوس والخزرج انشغال علي عليه السلام وبني

---

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٤٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٢: ٤٧٠.

(٣) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام رقم ١٩٧.

هاشم بتجهيز رسول الله ﷺ والعزاء فاجتمعوا في السقيفة، وانتهى الأمر إلى مبايعة أبي بكر بالخلافة ثم ألزموا الناس البيعة فاعترضهم بعض الصحابة، وكان منهم سهل بن حنيف حيث قال: «يا معشر قريش أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ في مسجده وقد أخذ بيد علي وقال: يا أيها الناس هذا إمامكم بعدي ووصيي في حياتي وبعد وفاتي... فطوبى لمن اتبعه ونصره، والويل لمن تخلف عنه وخذله» وقال لهم أبو أيوب الأنصاري: اتقوا الله عباد الله، ثم قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**أهل بيتي أئمتكم بعدي**، ويومئ إلى علي عليه السلام ويقول: **هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله ومنصور من نصره**»[1]، وقام غيرهما من الصحابة ونقلوا ما سمعوا من رسول الله ﷺ منهم أبو الهيثم بن التيهان وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وغيرهم، إلا أن قريش لم تستجب لهم.

خرج علي عليه السلام للمسلمين وأخبرهم أنه الأحق بالخلافة واحتج عليهم بأمور إلا أنهم حاولوا إرغامه على البيعة فاعتزلهم بعد أن حشم المسلمين على نصرته والوقوف معه، وحين اعتزلهم جمع القرآن ورتبه بحسب النزول وذيله بتفسير ما غمض من آياته.

وظل علي عليه السلام مهادناً للخلفاء وكان مرجعاً لهم، كلما استعصى عليهم أمر يتصل بالدين أو إدارة الحكم حتى قال عمر في أكثر من ثلاثمائة مورد «لولا علي لهلك عمر».

---

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٢٠١.



البيعة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة

(٢٤/ذي الحجة/السنة ٣٥ للهجرة)

بقيت المدينة أياماً بعد مقتل عثمان والناس يلتمسون علياً عليه السلام للقيام بالأمر وهو يأبى قائلاً: **دعوني والتمسوا غيري، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً**[1].

وظلّ يأبى حتى ازدحم الناس وألحّوا عليه، وقالوا له: «لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف». ثم أخذ الأشتر النخعي بيده فبايعه وبايعه الناس وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي.

وهتف الناس باسم علي عليه السلام على عادة الناس إذ يولّون عليهم خبيراً بحاجاتهم مؤمناً بحقهم خالصاً لهم، عالماً حكيماً أباً كريماً. وسرّوا بقبوله

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٢.

الولاية حتى لكأنهم يطلون على أمل لا ينتهي بعد أن عانوا من المهانة والحرمان.

وقد وصف هو نفسه بيعته بالخلافة وصفاً جميلاً قال: «**وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب**»[١].

وبدأ علي من يومه الأول يجنّد قواه للإصلاح ويقوّم ما أعوج من شؤون الناس. فإذا هو يعزل الولاة من عمال عثمان واحداً بعد واحد، وهو لا يرى فيهم من يصلح للبقاء في عمله. وامتنع قوم عن بيعته من القرشيين وأصحاب الوجاهات والطامعين بالحكم، فهم يحقدون عليه إما حسداً وإما انتقاماً لزعامة ونفوذ وجاه يرغبون فيها ولا سبيل لها على يديه، وقد أشار عليه السلام أكثر من مرة إلى معاداة قريش له إشارة صريحة لا تحتمل تأويلاً. وأعلن عن موقفه منهم قائلاً: «**ما لي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنّهم مفتونين! وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم!**»[٢].

أجل.. إن أمير المؤمنين عليه السلام قد واجه المشاكل التي اعترضت خلافته بمنتهى الحكمة والسياسة الرشيدة، وإذا لم يكتب له النجاح في خلافته فمردّ ذلك إلى عدّة أسباب، أهمها أنه تولى الخلافة من المسلمين ولكنهم لم

(١) نهج البلاغة: (٢٢٩) من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

يجتمعوا على هدف واحد وغاية واحدة، وفي هذا الجو المحموم ووسط تمرّد وتحد وكره من أكثر القريشيين ومن الأمويين، وفي مناخ سادت فيه المصالح على جميع القيم واستعملت فيه الأموال لشراء الضمائر والأنصار.

لذلك كله كان قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا يخفى أن مردّ ذلك كله لأن علياً عليه السلام لم يهادن أحداً على حساب الإسلام، او يستعمل قرشاً واحداً من بيت المال في غير موضعه، فكان من الطبيعي أن تعترضه المشاكل من هنا وهناك، وهو يحاول أن يحمل الناس على كتاب الله وسنّة رسوله وتأسيس خلافة جديدة لم يعهد المسلمون نظيراً لها من قبل.

إن علياً عليه السلام كان يرى ان أقل ما يطلب من خليفة رسول الله ان يحمي شريعة الله من التلاعب والأرض من الفساد، ويحتفظ بخيرات الأرض لا لفئة من الحاكمين ولا لفريق دون فريق، وقد عمل على ترسيخ هذه المبادئ وتنفيذها بدون هوادة ولم ينحرف عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقدّم خلال تلك الفترة الحكومة النموذجية المحمدية العلوية ويقول في ذلك الإمام الخميني قدس سره: «... إن اليوم الذي استلم فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقاليد أمور المسلمين هو الذي يستحق أن نحتفل في ذكراه ذلك لأنه قدّم خلال تلك الفترة من حكمه مثال الحكومة العادلة التي أرادها الإسلام للبشرية».



علي عليه السلام يحارب الناكثين في معركة الجمل

(١٥ / جمادى الأولى / السنة ٣٦ للهجرة)

بعد مقتل عثمان ومبايعة المسلمين للإمام علي عليه السلام، اخذت الأمور مجرى آخر، حيث أن عدالة أمير المؤمنين عليه السلام وتمسكه بالإسلام كانت لا تروق لأولئك الذين اكتنزوا الكنوز، وملكوا العبيد والإماء وامتلكوا الضياع وبنوا القصور من أموال المسلمين، فقاموا متحدين لمقاومة عدالة الإسلام التي لا تكتفي بحرمانهم مما أِلفوه ومن استمرارهم للنهب، بل ستأخذ منهم حتى تلك الأموال التي نالوها بطريقة غير مشروعة، وجعل أولئك الذين تمنوا الموت لعثمان، وحرّضوا الناس ضده حتى أودوا بحياته، جعلهم متحدين يطالبون بدمه، حيث اتفق طلحة والزبير ومعهما عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وخرجوا إلى البصرة لجمع الأنصار وإثارة الفتنة، خروجاً على إمام زمانهم.

إنها حقاً من الأمور التي تدهش العاقل، وقد بذل الإمام جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة فلم يأل جهداً في بذل النصح لهم، وتحميلهم مغبة ما

سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه إحدى نصائحه لطلحة والزبير، إذ يقول:

« **أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما إني لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني وأنكما ممن أرادني وبايعني وإن العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لعرض حاضر فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان وإن دفعكما هذا الأمر قبل تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به وقد زعمتما أني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام**»[1].

وفي البصرة – المكان الذي دار فيه القتال – استمر الإمام علي عليه السلام يبذل نصحه من أجل حقن الدماء فأرسل إلى الناكثين يدعوهم للصلح، ورأب الصدع، والتقى بالزبير، وذكّره بما قال النبي عليه السلام يوم قال: لا يدع ابن أبي طالب زهوه. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «... **مهلاً يا زبير ليس بعلي زهو، ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له؟!**»[2] فقال الزبير للإمام: بلى ولكني

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٣٢: ١٨٨.

نسيت ذلك. وبعد أن تذكر ما ذكّره الإمام به، انصرف إلى خارج البصرة، ولم يحارب، فقتله ابن جرموز ودفنه في وادي السباع.

وبعد أن فشلت المحاولات لإخماد الفتنة التي أثارها الناكثون في البصرة تفجرّ الموقف وأُعلن القتال بين جيش الإمام علي عليه السلام وجيش الناكثين، لكن الإمام ظلّ ملتزماً بالصبر والأناة، وبما امتاز به من الروح الإنسانية، موضحاً لجماعته أحكام الشريعة الإسلامية في حق البغاة، ثم دعا ربه متسجيراً من الفتنة.

أما عن مصير طلحة فقد جاءه سهم عند الهزيمة لا يُعرف راميه فجرحه ثم مات، وأسفرت هذه الفتنة عن قتل (١٠ آلاف) من جيش الناكثين و (٥ آلاف) من جيش الإمام، وقد جرت المعركة في (١٠ جمادى الأولى)، وقيل العاشر من جمادى الثانية سنة (٣٦ هـ) وسميت بحرب الجمل لأن عائشة كانت تركب فيها جملاً.

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها بانتصار ساحق على أهل الجمل أعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين فيها، وإنه حقاً موقف جسّد فيه روح العفو والصفح، ومبادلة الإساءة بالإحسان، ثم واصل الإمام عليه السلام خطواته الإنسانية إزاء الناكثين، إذ قام بإعادة عائشة إلى المدينة المنورة معزّزة مُكرّمة على الرغم من موقفها المعاند لولي أمرها..

وبعد أن أنهى أمير المؤمنين عليه السلام حرب الجمل، وهدأت البصرة تحرّك الإمام عليه السلام نحو الكوفة ليتخذها مقرّاً له وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.



(١٢ / رجب/ السنة ٣٦ للهجرة)

بعد أن أنهى أمير المؤمنين علي عليه السلام حرب الجمل، وهدأت الأوضاع في البصرة تحرّك عليه السلام نحو الكوفة ليتخذها مقرّاً له بعد أن بعث برسالة أوضح لأهل الكوفة فيها تفاصيل الأحداث(١).

وكان لاختيار الإمام عليه السلام الكوفة عاصمةً جديدةً للدولة الإسلامية أسباباً عديدة منها:

١- توسّع رقعة العالم الإسلامي، ولابد أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين الحكومة في التحرك نحو جميع نقاط العالم، وموقع الكوفة استراتيجي إلى حد كبير بالنسبة إلى هذه الجهة.

٢- تقع الكوفة في تماس مع ولاية الشام التي يتحصّن فيها معاوية بن

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٧٩.

أبي سفيان معلناً التمرّد دون باقي أقطار العالم الإسلامي، فيكون وجود الإمام عليه السلام في الكوفة ضرورياً لقمع تمرد الشام، وللتهيئة السريعة أمام أي اعتداءٍ محتمل من قبل الشام.

٣- إن الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام عليه السلام في القضاء على فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيات العراق ووجهاء الكوفة وجماهيرها، فكان عليه السلام يرى فيهم مادةً صالحة لمجتمع إسلامي سليم وقويّ بإمكانه أن يربيهم لينطلق بهم إلى العالم أجمع.

٤- إن الظروف السياسية المتوتّرة والناجمة عن مقتل عثمان، وحرب أصحاب الجمل جعلت الإمام يستقر في الكوفة ليعيد الأمن والاستقرار للمنطقة التي يحكمها، وخاصة العراق ويمنع من حدوث انشقاقات محتملة في المجتمع الإسلامي بشكل عام.

وبمناسبة قدوم أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة نتعرض إلى معطيات حكومته العادلة.

معطيات حكومة الإمام علي عليه السلام:

سيرة الإمام علي عليه السلام متعدّدة الأبعاد والجوانب، فمن العسير بمكان الإلمام بها جميعاً غير أننا اخترنا جانباً مهماً، وبعداً عميقاً في شخصيته المباركة ألا وهو معطيات حكومته التي أسسها على أنقاض من سبقه، حيث أنّ الاضطرابات السياسية والاقتصادية عصفت بالمسلمين إلى أن ثاروا على ولاتهم، وبعدها اتجه الناس بكلهم نحو الإمام علي عليه السلام، يطالبون

إستخلافه ويصرّون على مبايعته إلا أنّ علياً عليه السلام كان يرفض لما أيقن – نتيجة لابتعاد الناس و انفصالهم الكبير عن خط الإسلام الحقيقي الأصيل بأنه من الصعب جداً ممارسته الحكم بعد ذلك الفساد والانحراف الكبيرين اللذين عصفا بالأمة الإسلامية، وقد لا يحتمل الناس وخاصة كبار القوم تعديلاته وإصلاحاته التي يرمي إليها، ولا يطيقون عدالته، ولهذا رفض الخلافة عندما عرضت عليه.

عاش الناس مدة خمسة أيام بعد مقتل عثمان فوضى عارمة، وضياعاً كبيراً كان خلالها الناس يراجعون الإمام أفواجا تلو أفواجاً، والإمام يبعد الخلافة عن نفسه، إذ يرى الظروف غير مناسبة لقبولها، وأنّ الحجة لم تتم عليه بهذا الاقتراح، فقال لهم: «**دعوني والتمسوا غيري..... وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً**»[١].

غير أنّ الناس ترابضوا على داره وتكاثروا على مراجعته، طالبوه بالبيعة كراراً.

ولولا أن تمّت الحجة على الإمام علي عليه السلام لما قبلها، فقد قال عليه السلام:

«**أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها**

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٢.

بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[١].

هذا الحكم الذي مارسه علي عليه السلام على الرغم من قصر عمره إلا أنه كان نموذجاً كاملاً للحكومة الإسلامية التي أشاد صرحها النبي صلى الله عليه وآله في المدينة، وعلى الرغم من أنه عليه السلام لم يصل إلى كافة أهدافه الاصلاحية التي نادى بها، نتيجة المؤامرات الداخلية التي حيكت ضده إلا أنه استطاع بدون شك أن يطرح نموذجاً ناجحاً للحكومة، وفق تعاليم الإسلام ومعاييره.

وفيما يلي لمحة سريعة للخطوط العريضة والمعطيات العامة لسيرته عليه السلام في الحكم:

١- من خلال أقواله الكثيرة في (نهج البلاغة) يؤكد الإمام علي عليه السلام أنّ قبوله للخلافة فقط لأجل إجراء العدالة الاجتماعية في المجتمع، ومكافحة الفوارق الطبقية التي تجذّرت في نفوس الناس، نتيجة للحكم السابق، فقد قال عليه السلام: «**أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا.. ما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها**»[٢].

وقال عليه السلام عندما رد على المسلمين قطائع عثمان: «**والله لو وجدته قد تزوّج به النساء وملك به الإماء لرددته، فإنّ في العدل سعة، ومن**

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٢) المصدر السابق.

ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»[١].

٢- يرى أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الحكم والمنصب ليس إلا وسيلة يستخدمها الحاكم لخدمة الناس و إحقاق الحق، ودحض الباطل لا أنه غاية لدرّ الأرباح، وقد إلتزم الإمام بهذه الرؤية إلى أبعد الحدود حتى نراه يجتنب عن إعطاء المهام الحساسة كالولاية وبيت المال إلى المتعطّشين للسلطة كطلحة والزبير، ولهذا السبب فقد أجّجوا نائرة الفتن، ورفعوا لواء العصيان ضد الإمام عليه السلام، وقال عليه السلام لما عاتبه البعض على التسوية بين المسلمين: «**أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟! والله ما أَطُورُ به ما سَمَرَ سمير وما أمّ نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله**»[٢].

وقال عليه السلام: «**اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك**»[٣].

٣- كانت لأمير المؤمنين عليه السلام رؤيا عميقة في زهادة الحاكم وعيشة

(١) نهج البلاغة: ٩٩.

(٢) نهج البلاغة: خ ١٢٦.

(٣) نهج البلاغة: خ ١٣١.

البساطة والعزوف عن الدنيا ذلك كي لا يؤثر هوى على هداية، وباطلاً على حق، ولا تغرّه الدنيا فيقضم مال الله، ويجعله دولاً ويتخذ من عباد الله خولاً.

لقد كان عزوفه عن الدنيا وزخارفها من أبرز خصائصه الذاتية، وسيرته الحكومية فقد كتب إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فقال له: «**ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ثوبين خرقين، ومن طعامه بقرصيه، .... فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً - أي ثوباً آخر-، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرةٍ، ولهي في عيني أوهى من عفصة مقِرَة ... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أوَ أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:**

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنُّ إلى القدِّ

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره

الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش»[١].

٤- لم يكن أمير المؤمنين على منوال الزعماء والرؤساء حيث عندهم الغاية تبرر الوسيلة، إذ لم يتوصل إلى أهدافه الإلهية النبيلة بوسائل غير شرعية، ولهذا لم يقرّ معاوية من اليوم الأول لخلافته على ولاية الشام، على الرغم من أنّ البعض اقترح عليه إقراره إلى حين، ثم عزله في وقت أمكن لعلي عزله إلا أنّ علياً عليه السلام لم يكن ليداهن الباطل على الحق، ولا يتوسّل به عليه، وقد كتب إلى معاوية بعد ما طلب الأخير إبقاءه على الشام، قال عليه السلام: «.. **وحاشى لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً، أو أجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً»**[٢].

٥- كان عليه السلام يراعي الأصول والضّوابط في تعامله مع أعدائه ومخالفيه، دون أن يصادر حرياتهم، إلا إذا فعلوا ما يستوجب ذلك، ففي الأشهر الأولى من خلافته همّ طلحة والزبير بالخروج، من المدينة، بعد أن يئسا منه في الحصول على الولاية، وأقبلا على الإمام، وقالا: إنا نريد العمرة. فأذن لهما بالخروج فقال عليه السلام لبعض أصحابه: «**والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة»**[٣].

(١) نهج البلاغة: كتاب ٤٥.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ٦٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٠.

يعكس هذا النص التاريخي أنّ الإمام لم يصادر حريتهما قبل أن يرفعا لواء العصيان على الرغم من علمه بما يضمران له.

وأيضاً لّما خالف الخوارج إمامهم وأميرهم عليه السلام، إثر جهلهم وعنادهم، وسوء فهمهم اعتزلوا معسكر الإمام عليه السلام حين رجوعهم من صفين، وأقاموا معسكراً في النهروان، فخاطبهم الإمام عليه السلام بعد أن كانت مخالفتهم سياسية، ولم تتعدى القيام بعمليات عسكرية بقوله: «**أما أنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا، لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا**»[١].

وبهذه الطريقة فقد سايرهم الإمام عليه السلام من منطلق القوة، إلى أن قاموا بنشر الرعب والخوف والإخلال بالأمن حينها اضطر الإمام إلى استعمال القوة بغية القضاء على فتنتهم.

٦- على الرغم من أن الإمام عليه السلام كان ينصب عمالاً وولاةً صالحين وكفوئين، إلا أنه كان لا يحرمهم من نصائحه ومواعظه، على الرغم من انشغاله في الحوادث المتكاثرة عليه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً، كما كان له عيون على الولاة في مناطقهم ينقلون إليه كل مخالفة ولو جزئية للوالي فسرعان ما يبدأ بالتقريع والتوبيخ والتهديد في بعض الأحيان لقمعها

(١) تاريخ الأمم والملوك ٦: ٤١ حوادث سنة ٣٧.

ومعالجتها، راجع قسم الكتب في (نهج البلاغة) ترى ما كتبه لمالك الأشتر، ولمحمد بن أبي بكر، وعثمان بن حنيف، ولزياد بن أبيه، ولغيرهم.

هذه بعض معطيات خلافة الإمام علي عليه السلام التي ما عرف المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثلها أبداً وكانت جميع الثورات التي ثارت على الدولتين الأموية والعباسية للوصول إلى حكومة الإمام علي عليه السلام، والى عدالته التي تذوّقها المسلمون فترة من الزمن، ثم غابت عنهم شمسها لتقصيرهم وجهلهم.



علي عليه السلام يحارب القاسطين في وقعة صفين

(١/ صفر / السنة ٣٧ للهجرة)

كان ابتداء القتال بصفّين في أول يوم من صفر سنة (٣٧ للهجرة)، وذلك عند نهر الفرات في وادي صفين قرب الرّقة.

ويذكر المؤرخون أنه لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير لقتال معاوية ومن معه من أهل الشام، خطب في أصحابه، ومما جاء في كلامه بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله:

«اتقوا الله - عباد الله - وأطيعوه وأطيعوا إمامكم، فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل. ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي، ناكثاً لبيعتي، طاعناً في دين الله عز وجل... فالعجب من معاوية بن أبي سفيان، ينازعني الخلافة، ويجحدني الإمامة ويزعم أنه أحقّ بها مني، جرأة منه

على الله وعلى رسوله، بغير حق له فيها ولا حجة، لم يبايعه عليها المهاجرون، ولا سلّم له الأنصار والمسلمون..»، إلى أن قال عليه السلام: «اتقوا الله - عباد الله - وتحاثّوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر؛ إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنهضتهم نهضوا معي، لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه فإنه الجهاد المفروض»[١].

منع الماء:

وقد كشف معاوية عن نواياه العدائية، عندما بادر إلى الاستيلاء على الماء، وحال بينه وبين أهل العراق، فأضرّ بهم وبدوابّهم العطش، فأرسل إليهم أمير المؤمنين عليه السلام: «إنا لم نأت هذه الأرض لنسيطر على الماء والكلأ، ولو سبقناكم إليه، لا نمنعكم منه».

ولكن لم تجد هذه الكلمات آذاناً صاغية من الطرف المقابل، ما اضطرّ علياً عليه السلام إلى استعمال القوة لإنقاذ عشرات الألوف ممن كان معه من الموت عطشاً، فأرسل الأشتر رضي الله عنه في كتيبة من عسكره فأظهروا من البسالة ما أبهر جيش معاوية وأجبرهم على الانسحاب، فاستعاد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الماء من أهل الشام.

(١) الإرشاد ١: ٢٦٣.

وهنا ظهرت سماحة الإمام عليه السلام حيث حاول بعض أصحابه إقناعه أن يقابل أهل الشام بالمثل ويمنع عنهم الماء، فأبى عليه السلام عليهم أشدّ الإباء، فبقي الجيشان ينهلان من الماء على قدم المساواة، واستمرت جهود الإمام عليه السلام في حلّ النزاع سلمياً كما يظهر ذلك من أكثر المرويات في هذا المجال، ولكن جهود الإمام عليه السلام ذهبت سدىً، بعد أن واصل أصحاب معاوية استفزازاتهم، وغاراتهم حتى أوقعوا في أصحاب الإمام عدداً من القتلى، عندها أذن الإمام بالقتال، وبدأت حرب بين الطرفين استمرت شهوراً وراح ضحيتها أكثر من مئة ألف من المسلمين، في فتنة أشعل نارها ابن هند لمآربه الخاصة.

فتنة رفع المصاحف:

تفاجأ معاوية ومن معه من بسالة أصحاب الإمام في الذود عن الحق الذي يمثله الإمام عليه السلام، وفيهم أكابر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إن عمار بن ياسر رضي الله عنه كان ينادي: «والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل»، ونتيجة لذلك انهار عسكر معاوية، وأوشك جيش العراق أن يحتل مضارب معاوية ويقبض عليه حياً حتى إنه دعا بفرسه لينجو، فتذكر مستشاره عمرو ابن العاص، فلجأ إليه لينقذه من هذه الورطة فأشار عليه برفع المصاحف على أسنة الرماح فكان ما أراد وارتفعت الأصوات من ناحية عسكر معاوية: «يا أهل العراق، هذا كتاب الله بيننا وبينكم فهلموا إلى العمل به».

فانطلت الحيلة على ضعاف النفوس والخونة المنبثين في جيش علي عليه السلام، وضموا أصواتهم إلى أصوات أصحاب معاوية لمنع علي عليه السلام وأصحابه المخلصين من الاستمرار في القتال والقضاء على رأس الفتنة، حتى إنه جاء الأشعث بن قيس إلى أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً له: «إن لم تحكم، قتلناك بهذه السيوف التي قتلنا بها عثمان».

فقال عليه السلام حينئذ: «**لا رأي لمن لا يطاع**»، وقال لأصحابه: «**هذه كلمة حق يراد بها باطل، وهذا كتاب الله الصامت وأنا المعبِّر عنه، فخذوا بكتاب الله الناطق وذروا الحكم بكتاب الله الصامت إذ لا معبّر عنه غيري**»[1].

ولما لم يرجع أصحابه إلى رأيه الذي تقدم ذكره، حتى إن نحواً من عشرين ألف مقاتل أحاطوا به مقنعين بالحديد وهم يقولون مهدّدين: «أجب القوم وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان».

وإزاء هذا الوضع الخطير، لم يجد أمير المؤمنين عليه السلام أمامه إلا خيارين أحلاهما مر: إما المضي بالقتال، وهذا يعني أنه سيقاتل ثلاثة أرباع جيشه وأهل الشام بأجمعهم، وإما القبول بالتحكيم وهو أهون الشرين، فاختاره على مضض.

(١) العمدة: ٣٢٩.

التحكيم:

ولم تكن مرحلة التحكيم بأيسر من مرحلة القتال على أمير المؤمنين عليه السلام. فبعد أن اجتمعت كلمة أهل الشام على اختيار عمرو بن العاص كمندوب لهم للتفاوض، اختلف أهل العراق مع علي عليه السلام على اختيار مندوب لهم، فقد كان رأيه عليه السلام وعدة من أصحابه اختيار أحد الثلاثة عبد الله بن عباس، أو مالك الأشتر، أو الأحنف بن قيس، وكانوا من أفضل المرشحين.

ولكن الكثرة الغالبة من ضعاف النفوس التي انطلت عليهم خديعة رفع المصاحف، رفضوا هؤلاء الثلاثة ورشحوا أبا موسى الأشعري، الذي رفض الإمام عليه السلام ترشيحه لانحرافه عنه، ولكنهم ضغطوا على الإمام عليه السلام فخشي الإمام أن تدبّ الفتنة مرة أخرى في صفوف جيشه فاضطرّ لقبول مرشحهم، فكانت النتيجة بلا ريب لغير صالحه، وعند اجتماع الطرفين للاتفاق على بنود التحكيم ظهرت نوايا معاوية المبيتة، عندما رفض إدراج صفة أمير المؤمنين خلف اسم الإمام عليه السلام حيث جاء في الكتب المعتبرة أنهم حينما شرعوا في كتابة بنود الاتفاق كتب الكاتب: «هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان.

فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، ولا تسمّه بإمرة المؤمنين، فإنما هذا أمير هؤلاء وليس بأميرنا، فقال له الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم، فإني أتخوّف إن محوته لا يرجع إليك أبداً.

فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه فتراجع الخطاب فيه ملياً من النهار، فقال الأشعث بن قيس: امح هذا الاسم...

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الله أكبر سنة بسنة ومثل بمثل والله إني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية وقد أملى علي: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، فقال له سهيل: امحُ رسول الله، فإنا لا نقر لك بذلك، ولا نشهد لك بذلك، اكتب اسمك واسم أبيك، فامتنعت من محوه»، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «امحه يا علي، وستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض..»**[1].

وتمّ الكتاب بين الطرفين ووقّعه من كل منهما عشرة من قادتهم ووجهائهم، ويتلخص مضمونه بأن يقفوا عند أحكام الله ويرجعوا إلى حكم الكتاب فيما يختلفون فيه، وإلى سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فيما لم يجدوا حكمه في الكتاب، والتزم علي ومعاوية ومن يتبعهما من المؤمنين والمسلمين بما يحكم به الحكمان، وأن يجتمع الحكمان في مكان بين الشام والحجاز يدعى (دومة الجندل)، وأن لا يحضر معهما إلاّ من أرادوه، وأن يعمل الطرفان على توفير الجو المناسب لهما خلال اجتماعهما وفيما بعده.

ومن الغريب أنه لم يرد في نص الوثيقة أي ذكر لأسباب الصراع وموضوعه الحقيقي من قريب أو بعيد، في حين أن أسباب الصراع واضحة

---

(١) بحار الأنوار ٣٣: ٣١٦.

لأن معاوية كان قبل معركة الجمل يطالب بمحاكمة أولئك الذين قتلوا عثمان أو تسليمهم إليه ليتولّى القصاص منهم، وبعد تمرّد السيدة عائشة وطلحة والزبير تعزّز موقفه وأصبح يطالب بإعادة الخلافة شورى بين المسلمين على أن يكون له رأي في ذلك، وقد ردّ علي عليه السلام على طلبه الأول بأن يدخل فيما دخل فيه المسلمون ثم يحاكم القوم إليه ليقتصَّ لعثمان من قاتليه إذا أدينوا بجريمة توجب القصاص، وردّ عليه السلام على طلبه الثاني، بأنّ خلافته قد تمّت بإجماع أهل الحرمين الذين بايعوا الخلفاء الثلاثة من قبله، بل بايعه جميع الأمصار ما عدا الشام.

وتشير بعض الروايات إلى أن إقصاء أمير المؤمنين عن الخلافة كان أمراً مفروغاً منه لدى الطرفين، ولكن الخلاف كان على البديل، فقد اقترح أبو موسى الأشعري عبد الله بن عمر بن الخطاب، فردّ عليه ابن العاص بأن عثمان بن عفان قتل مظلوماً ومعاوية وليه.

ولم يُبدِ أبو موسى أية ملاحظة حول هذه الناحية، ومضى ابن العاص يغريه بالسلطة إن هو وافق معه على أن تكون الخلافة لمعاوية.

وبعد حوار طويل بين الطرفين استطاع ابن العاص أن يخدعه فأظهر له موافقته على إقصائهما معاً وترك الأمر للمسلمين يختارون لأنفسهم من يريدون، وكان ما أراده ابن العاص فخلع أبو موسى علياً وأثبت ابن العاص معاوية.

وانتهت مهزلة التحكيم على هذا النحو كما يرويها المؤرخون. وهي

نتيجة مفروغ منها بعد أن رفض كل اقتراحات الإمام عليه السلام ومناشداته، من قبل الكثرة التي غلب عليها الشيطان فأضل أعمالهم.

وقد نصَّت المرويات على أنه أقام في صفين بعد إعلان الهدنة وكتابة بنود الاتفاق يومين أو ثلاثة مشغولاً بتهدئة الخواطر والنفوس، ودفن القتلى من أصحابه، ثم خرج بعدها متوجهاً إلى الكوفة ليواجه مشاكل جديدة.



علي عليه السلام يحارب المارقين في النهروان

(٩/ صفر/ السنة ٣٨ للهجرة)

النهروان موقع بين بغداد وحلوان من محافظة في العراق بعد بعقوبة إلى خانقين، وفيها جرت الوقعة المعروفة بين الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج.

والخوارج، هم الذين أنكروا التحكيم الذي وقع بعد معركة صفين، واتخذت حركتهم بعد أن تحرك موكب الإمام من صفين شكلاً جديداً، فاعترفوا بخطئهم في قبول التحكيم وأعلنوا توبتهم وجاءوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلبون منه أن يتراجع ويتوب كما تابوا. فلم يستجب لطلبهم لأنه لم يخطئ إنما خالفوا أمره الذي تابوا إليه الآن، فانفصلوا عنه قبل أن يدخل الكوفة في مكان يدعى حروراء، ومن أجل ذلك سمّاهم المؤرخون بالحرورية[1]، وسُمّوا بالخوارج لأنهم خرجوا على إمامهم أمير

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر ١: ٤٤١.

المؤمنين عليه السلام، وقد رفعوا شعاراً: «لا حكم إلا لله».

بعد أن رفع الخوارج شعارهم ذلك، حاورهم أمير المؤمنين عليه السلام بالتي هي أحسن وفنّد معتقداتهم وآراءهم، إلاّ أنهم لم يصغوا إلى توجيهات أمير المؤمنين عليه السلام واستمرّوا في غيّهم، وتعاظم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلى معسكر الإمام علي عليه السلام، بالإضافة إلى الإمام عليه السلام ورأوا استباحة دمائهم!

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام عازماً على عدم التعرّض لهم ابتداءً، ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، ولكن هذه الفئة الخارجة عن الطاعة المارقة عن الدين تمادت في غيّها فقامت بقتل الأبرياء وتهديد أمن البلاد، وقد قتلوا الصحابي عبد الله بن خباب وبقروا بطن زوجه الحامل، كما قتلوا نسوة من طي، وعندما أرسل إليهم الإمام عليه السلام الحارث بن مرّة العبدي ليتعرّف على حقيقة موقفهم، قتلوا رسول أمير المؤمنين عليه السلام، وعندها كرّ عليه السلام راجعاً من الأنبار (حيث كان اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام) وتوجه إلى قتالهم، والتقى الجيشان فأمر الإمام عليه السلام أصحابه بالكفّ عنهم حتى يبدؤوا القتال، فتنادى الخوارج من كلّ جانب: «الرواح إلى الجنة»، وشهروا السلاح على أصحابه وأثخنوهم بالجراح، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهام، وشدّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه فما هي إلا سويعات حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم: موتوا فماتوا..

ومن كرامات أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الوقعة أنه كان قد أخبر أصحابه

قبل المعركة بأنه لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة، وكان الأمر كما أخبرهم، فلم ينج منهم إلا تسعة أو ثمانية، ولم يقتل من أصحابه إلا تسعة كما روى ذلك أكثر المؤرخين.

وهنا يروي المؤرخون حديث المُخْدَج المعروف بـ(ذي الثديَّة)، أحد القتلى في هذه المعركة، حيث كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد أخبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقتل الخوارج وقتل المُخْدَج معهم، لذلك فإنه بعد انتهاء المعركة فتش عنه وألحّ في طلبه حتى وجدوه بين القتلى، وهو يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**والله ما كَذبت ولا كُذبت**»[1].

فكانت من كرامات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الباهرة التي أبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكارهون.

---

(١) أشار إلى نحوه أبو يعلى في (مسنده) ١: ٣٧١- ٣٧٤، وابن أبي الحديد في (شرح النهج) ٢: ٢٧٦، ونقله المجلسي في (البحار) ٤١: ٢٨٣، ورواه المفيد في (الإرشاد) ١: ٣٧١.



شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (١)

(٢١/ رمضان/ السنة ٤٠ للهجرة)

الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان سنة (٤٠هـ) أصاب ابن ملجم المرادي غيلة وغدراً رأس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بضربة سيف مسموم وهو يصلي صلاة الصبح في مسجد الكوفة.

وفي هذه الليلة كان الإمام عليه السلام في دار ابنته أم كلثوم، فقدمت له فطوره في طبق فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها اللبن الفاتر، وملح، فأمر الإمام عليه السلام ابنته أن ترفع اللبن، وقال لها: **يا بنية أتريدين أن يطول وقوف أبيك بين يدي الله فتلوّنين له الطعام.**

وأفطر بالخبز والملح ولم يشرب من اللبن شيئاً، لأن في الملح كفاية، وأكل قرصاً واحداً، ثم حمد الله وأثنى عليه، وقام إلى الصلاة، ولم يزل

---

(١) نقلاً عن كتاب افضل الليالي/ أيوب الحائري.

راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله تعالى، وكان يكثر الدخول والخروج، وينظر إلى السماء، ويقول: **هي والله الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله**. ثم رقد هنيئة وانتبه مرعوباً، وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً على قدميه، وهو يقول: **اللهم بارك لنا في لقائك**، ويكثر من قول «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**».

قالت أم كلثوم: فلما رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت: يا أبتاه ما لي أراك في هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟

قال: **يا بنية إنّ أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة**، ثم قال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون**».

فقلت يا أبتاه: ما لك تنعى نفسك منذ الليلة؟ قال: **بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل**، قالت أم كلثوم: فبكيت. فقال لي: **يا بنية لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلا بما عهد إليّ النبي** صلى الله عليه وآله. ثم إنه نعس وطوى ساعة، ثم استيقظ من نومه وقال: **يا بنية إذا قرب الآذان فأعلميني**، ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى، قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب الآذان فلما لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح الباب ثم نزل إلى الدار وفيها إوز

قد أهدي إلى أخي الحسين عليه السلام، فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن في وجهه، وكان قبل تلك الليلة لم يصحن.

فقال عليه السلام: **لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح، وفي غداة غد يظهر القضاء.**

فقلت: يا أبتاه هكذا تتطير.

فقال: **بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به، ولكن قولٌ جرى على لساني.** ثم قال: **يا بنية بحقي عليك إذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه وإلا خلي سبيله يأكل من حشائش الأرض.**

فلما وصل إلى الباب عالجه ليفتحه فتعلق الباب بمئزره حتى سقط، فأخذه وشده، وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بواديكا
كما أضحكك الدّهر ... كذاك الدّهر يبكيكا

ثم فتح الباب وخرج، إلى مسجد الكوفة لإقامة صلاة الصبح.

أما عدو الله عبد الرحمن بن ملجم فكان على رأي الخوارج، وكانت بينه وبين قطام حب وغرام، وقطام قد قتل أبوها وأخوها وزوجها، في النهروان، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداءً لأمير المؤمنين، وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فاشترطت عليه أن يقتل أمير المؤمنين عليه السلام فاستعظم هذا الأمر،

وطلبت منه ثلاثة آلاف ديناراً وعبداً وقينة (جارية) وينسب إليه هذه الأبيات:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمّم

فقد جاء عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة، وبات في المسجد ينتظر طلوع الفجر، ومجيء الإمام للصلاة، وهو يفكر حول الجريمة العظمى التي قصد ارتكابها، ومعه رجلان شبيب بن بحرة، ووردان بن مجالد، يساعدانه على قتل الإمام.

وسار الإمام إلى المسجد ووقف يصلي صلاة الصبح فقام المجرم الشقي لإنجاز أكبر جريمة في تاريخ البشر؟ وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام يصلي إليها فأمهله حتى صلى الركعة الأولى، وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين، وأخذ السيف وهزّه، ثم ضربه على رأسه الشريف، وهو يقول: الحكم لله لا لك يا علي. فوقعت الضربة على أم رأسه.

فوقع الإمام على وجهه قائلاً: **بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله!**، ثم صاح: **فزت ورب الكعبة، قتلني ابن ملجم، قتلني ابن اليهودية، أيها الناس لا يفوتكم ابن ملجم.**

وقد أخبر الإمام عن قاتله كيلا يشتبه الناس بغيره فيقتلون البريء، ونبع الدم العبيط من هامة الإمام عليه السلام، وسال على وجهه المنير وخضب لحيته

الكريمة، وصدق كلام الرسول ووقع ما أخبر به، لم يفقد الإمام وعيه، وما انهارت أعصابه بالرغم من وصول الضربة إلى جبهته وبين حاجبيه فجعل يشدّ الضربة بمئزره، وفي تلك اللحظة هتف جبرائيل بذلك الهتاف السماوي: «**تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء، وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عم المصطفى صلى الله عليه وآله، قتل الوصي المجتبى، قتل علي المرتضى، قتل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء**»، وضجّت الملائكة في السماء، وهبّت ريح عاصفة سوداء مظلمة.

وتقدم الحسن عليه السلام فصلى بالناس وأمير المؤمنين عليه السلام صلى إيماء من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته، يميل تارة ويسكن أخرى.

ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة، وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدورهن إلى الجامع ينظرون إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن عليه السلام ورأس أبيه في حجره، وقد غسل الدم عنه، وشد الضربة وهي بعدها تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده، ثم أمر أن يحملوه إلى منزله[1].

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٨٢.

يوم شهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٠ للهجرة) هو يوم استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إثر الضربة بالسيف المسموم التي ضربه ابن ملجم على أم رأسه في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وبقي الإمام في فراشه ثلاثة أيام وكان قد اصفرَّ لونه من أثر الضربة، ولما قرب أجله أخذ يوصي أهله وأصحابه بجملة من الوصايا، ومما جاء في وصيته: «**بالأمس أنا صاحبكم، واليوم أنا عبرة لكم، وغداً مفارقكم**»، كما أنه عليه السلام أوصى ولديه الحسن والحسين، وأهل بيته بجملة وصايا، وهي وصايا خالدة لكل أتباع علي عليه السلام منها:

«**أوصيك يا حسن ويا حسين وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا؛ بتقوى الله ربكم، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون**» – إلى أن يقول – «**الله الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه عماد دينكم... الله الله في الأيتام فلا يظلمنّ في حضرتكم... الله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم، الله الله في جيرانكم فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم، الله الله في الصلاة فإنها خير العمل وعمود الدين، الله الله في الزكاة فإنها تطفىء غضب ربكم، الله الله في الصيام في شهر رمضان فإنّ صيامه جُنة من النار، الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، الله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمنّ**

بين أظهركم»[١].

ثم التفت إلى بني عبد المطلب قائلاً لهم: «**ارفقوا بأسيركم وأطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، ثم إذا أنا مت - يا حسن - فاضربه ضربة واحدة، ولا تحرقه بالنار، ولا تمثّل بالرجل، فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»، وإن أنا عشت، فأنا أولى به**»[٢]، ثم عرق جبينه وسكن أنينه، فقالت زينب: يا أبه أراك عرق جبينك، وسكن أنينك؟ قال عليه السلام: «**يا بنية سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ المؤمن إذا نزل به الموت، ودنت وفاته عرق جبينه، وسكن أنينه**»، فقامت زينب عليها السلام، وقالت: يا أبه حدثتني أم أيمن بحديث كربلاء، وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال عليه السلام: **يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأن بك ونساء أهلك سبايا بهذا البلد فصبراً صبراً**.

ثم نظر إلى أولاده فرآهم تكاد تزهق أرواحهم من شدّة البكاء والنحيب، فقال لهم: **أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله كما وعدني، فإذا أنا**

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ٥/ ٤٧.

(٢) المصدر السابق.

مت يا أبا محمد، فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدّك رسول الله ﷺ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم على مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، وصلّ عليّ يا بني حسن، وكبّر عليّ سبعاً، واعلم أنه لا يحلّ ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت عليّ فنح السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً، ولحداً منقوباً، وساحة منقوبة، فضعني فيها ثم أشرج اللحد باللبن، وأهِل التراب عليّ، ثم غيّب قبري.

ثم دفع كتبه وسلاحه إلى الحسن، وأمره أن يدفعها إلى الحسين عليه السلام إذا حضرته الوفاة، وأمر الحسين أن يدفعها إلى ولده عليّ بن الحسين، وأقبل على علي بن الحسين، فقال له: **وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفع وصيتك إلى ولدك محمد بن علي، فأقرأه من رسول الله ومني السلام.**

ثم قال للحسن: **أنت ولي الأمر بعدي.** ثم أخذ الإمام يودع أولاده الواحد بعد الآخر، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق، وقال: **هذا رسول الله ﷺ وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله، كلهم يقولون: عجّل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون.** ولما دنت وفاته، قال: **يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأنكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ها هنا،**

وها هنا فاصبـرا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين، ثم قال: **يـا أبـا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوى الله والصبـر على بلائه**.

ثم أدار عينيه في أولاده وأهل بيته، وقال: **استودعكم الله جميعـاً، وحفظكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم وكفى بالله خليفة**[1].

شهادة الإمام وتجهيزه ودفنه:

ولم يزل الإمام علي عليه السلام وهو بتلك الحال يسبّح الله ويذكر الله تعالى كثيراً، ثم استقبل القبلة، وقال: **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، رفقاً بي ملائكة ربّي**. ثم عرق جبينه وسكن أنينه، وغمض عينيه، ومد رجليه ويديه، وقضى نحبه شهيداً، وأقبل الناس رجالاً ونساء نحو بيت الإمام، وهم ينادون: وا إمامنا.. فارتجّت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله. قال محمد بن الحنفية: ثم أخذنا بجهازه ليلاً، وكان الحسن يغسله، والحسين يصبّ الماء عليه، وكان لا يحتاج إلى من يقلبه، بل كان ينقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثم نادى الإمام الحسن أخته زينب، وقال: يا أختاه هلمّي بحنوط جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم لفوه بخمسة أثواب ووضعوه على السرير.

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٨٢.

ثم أخذ الحسن عليه السلام يصلي على أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وحمل السرير هو والحسين وسائر بني هاشم، وتوجّه به حسب وصية أمير المؤمنين حتى وصلوا إلى النجف، فوضع مقدم السرير، فوضع الحسنان مؤخره، ثم وجدوا حجراً كتب عليه: «هذا ما ادخره آدم ونوح للعبد الصالح علي بن أبي طالب»[١]، وانتهى الدفن قبل الفجر وأخفوا قبره كما أوصى به، لأنه عليه السلام كان يعلم عداوة الخوارج والأعداء له، وكان القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام وخواص الشيعة إلى أيام هارون الرشيد.

ولما فرغ أولاد الإمام من دفن أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام هاج بهم الحزن وسالت دموعهم على خدودهم. ورجعوا إلى الكوفة، وفي الطريق سمع الحسنان بكاءً ونحيباً من كوخ صغير على جادة الطريق فدخلا فيه، فإذا بشيخ كبير ضرير يبكي، فدنا منه الحسنان، وقالا له: **ما بالك تبكي بكاء من ثُكلت بوحيدها**، فقال الشيخ بصوت ضعيف: كان يتعهدني رجل كريم في كل ليلة، يأتيني بطعامي ويؤنس وحدتي، ومنذ ثلاث لم يأت إليّ، فبكى الحسنان، وقالا له: **عظّم الله لك الأجر يا شيخ في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.**

فبكى الشيخ وأبكى من حوله[٢]، ويحق لجميع المسلمين أن يكون

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٥ ح٥٨.

(٢) المصدر السابق.

لفقدهم إياه حيث كان لهم إماماً عادلاً وأباً حنوناً بنصّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة**».

ألا يا عين ويحكي فاسعدينا	ألا فابكي أمير المؤمنينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طُرّاً أجمعينا
وكنّا قبل مقتله بخير	نرى مولى رسول الله فينا
فلا والله لا أنسى علياً	وحُسن صلاته في الراكعينا
إمام صادق برٌّ تقي	فقيه قد حرى علماً ودينا

* * *

مقتطفات من القصيدة الكوثرية

في مدح النبي صلى الله عليه وآله وابن عمه الإمام علي عليه السلام

هذه القصيدة من أروع وأشهر ما قيل في مدح الإمام علي عليه السلام وسبب شهرتها على ما يبدو هو مدى الإبداع الفني الأسلوبي الذي يبدو واضحاً على قسمات القصيدة، واسمها من أجمل التسميات للقصائد.

والقصيدة الكوثرية التي نظمها الشاعر السيد رضا الهندي سميت بالكوثرية نظراً لما جاء في البيت الثاني منها وهو قوله:

قَد قال لثغرِكَ صانِعهُ ﴿إِنّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

والقصيدة الكوثرية تبدأ أولاً بمدح الرسول صلى الله عليه وآله ومن ثم تنتهي إلى الغرض الأساس فيها وهو مدح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بأسلوب شيق.

أمُفلّجُ[1] ثَغركَ أم جوهرْ و رحيقُ رضابِكَ[2] أم سُكّرْ

قَد قال لثغرِكَ صانِعهُ ﴿إِنّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

(١) المفلّج من الأسنان: المنفرجة.

(٢) الرضاب: اللعاب.

والخــــالُ بخــــدكَ أم مِــــسكٌ نقطــتَ بــهِ الــوَردَ الأحمــرْ

أم ذاكَ الخــــالُ بِــــذاكَ الخَــــدُ فتيــتُ النــدّ[١] علــى مَجمــرْ

عجبــاً مــن جَمــرتِهِ تَذكــو[٢] وبــــها لا يحتـــرقُ العنـــبرُ

يــا مَــن تبــدو لــي وَفــرَتُهُ[٣] في صُـــبحِ محَيـــاهُ[٤] الأزهـــرْ

فأجـــنُّ بـــه بـــ ﴿اللَيـــلِ إذا يغْــشى﴾ و﴿الــصُّبحِ إذا أســفرْ﴾

* * *

يــا مَــن قــد أنكــرَ مــن آيــاتِ أبـــي حَـــسَنٍ مـــا لا يُنـــكرْ

إن كُنــــتَ لِجَــــهلكَ بالأيـــامِ جَحــدتَ مَقــامَ أبــي شُــبَّرْ

فأســـألْ بـــدراً وأســـألْ أُحـــداً وسَـــلِ الأحـــزابَ وسَـــلْ خَيبَـــرْ

مَــنْ دَبّــر فيهــا الأمــرَ ومــنَ أردى الأبطـــالَ ومَـــن دمَّـــرْ؟

مَـن هَـدَّ حُـصونَ الـشِركِ ومَـنْ شـادَ الإســلامَ ومَـــنْ عَمَّـــرْ؟

مَـــنْ قَدَّمَـــه طـــه وعلـــى أهـــلِ الإســـلامِ لـــه أمَّـــرْ؟

قاسُـــوكَ أبـــا حـــسنٍ بِـــسِواكَ وهـــل بالطَّـــودِ يُقـــاسُ الـــذَّرْ[٥]

* * *

(١) الند: عودٌ عطرٌ يتبخر به.

(٢) تذكو: تتوقد وتلتهب.

(٣) الوفرة: شعر الرأس الكثيف.

(٤) المحيًا: جبهة الوجه.

(٥) الذر: الدقائق الصغيرة.

مَــنْ غــيرُكَ يُــدعى للحَــرب وللمِــــحرابِ وللمِنبـــرْ؟
أفعـــالُ الخَـــيرِ إذا انتَـــشَرَت في النـــاسِ فأنـــتَ لهـــا مـــصدرْ
وإذا ذُكِـــرَ المَعـــروفُ فمـــا لِـــسواكَ بـــه شـــيءٌ يُذكـــرْ
أحيَيْـتَ الديـنَ بـأبيَضَ[1] قـد أودَعــتَ بـه المـوتَ الأحمَــرْ
قُطبـاً للحـربِ يُـديرُ الـضربَ ويَجلُــو الكَــرْب بيــومِ الــكَرْ
فأصْـــدَعْ بـــالأمرِ فناصِـــرُك البَتّـــارُ وشانئُـــك الأبتَـــرْ

* * *

أنــت المُهــتمُّ بحفــظِ الديــنِ وغـــيرُك بالـدنيـــا يَغْتَـــرْ
أفعـــالُك مـــا كانـــتْ فيهـــا إلا ذكـــرى لَمـــن ادَّكَـــرْ
حُجَجـاً ألزمـتَ بهـا الخُـصماءَ وتبـــصرةً لَمـــن استبـــصَرْ
آيـــاتُ جـــلالِك لا تُحـــصى وصفـــات كمالِـــك لا تُحـــصَرْ
مَـــنْ طَـــوَّلَ فيـــك مَدائـــحَه عـــن أدنـــى واجبِـــها قَـــصَّرْ[2]
فأقْبـــل يـــا كعبـــةَ آمـــالي مـن هـدْى مَـديحي مـا استَيْـسَرْ

* * *

١/ ذي الحجة الحرام/ ١٤٢٧هـ

ذكرى زواج الإمام علي عليه السلام من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

---

(١) أبيض: صفة من صفات السيف.

(٢) قصّر: لم يؤدّ الواجب.